المركز القومى للترجمة



المشروع القومى للترجمة

مغامرات بينوكيو

الطبعة الثانية

تأليف : كارلو كولودى

ترجمة : محمد قدرى عمارة

مراجعة : إلهامى عمارة

2/577

مغامرات بينوكيو

المركز القومى للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٥٣٧/ ٢
- مغامرات بينوكيو
- كارلو كولودى
- محمد قدرى عمارة
- إلهامى عمارة
- الطبعة الثانية ٢٠٠٩

هذه ترجمة كتاب:

The Adventures of Pinocchio
by: Carlo Collodi

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.

E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524-2735426 Fax: 27354554

مغامرات بينوكيو

تأليف: كارلو كولودى
ترجمة: محمد قدرى عمارة
مراجعة: إلهامى عمارة



٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١٠٦٤٥ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى: 5 - 303 - 479 - 977 - 978
طبع بمطابع مصر للطيران

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

مسكين ... مسكين بينوكيو

– « والقطع الذهبية الأربع ، أين وضعتها ؟» سألت الجنيّةُ .

– « ضاعت منى » أجاب بينوكيو .

وما إن نطق بهذه الكذبة حتى طالت أنفه بمقدار إصبعين .

– « وأين ضاعت منك ؟»

– « فى الغابة بالقرب من هنا »

مع الكذبة الثانية ظلت أنفه تطول وتطول ، وعند الكذبة الثالثة كانت قد طالت إلى الحدّ الذى لم يكن يستطيع معه بينوكيو المسكين الحركة دون أن يضرب بأنفه السرير أو الشباك أو الحائط أو الباب ، وما إن رفع رأسه قليلاً حتى كاد أن يصيب بأنفه إحدى عينى الجنيّة .

نظرت الجنيّةُ إليه ثم انفجرت فى الضحك .

الفصل الأول

كيف شاع أن السيد تشيرى النجار وجد قطعة من الخشب تضحك وتبكى مثل الطفل

كان ياما كان ......

سيصيح قرائى الصغار لتوهم « ملك » .... لا ، يا أطفالى ، أنتم مخطئون . كان يا ما كان قطعة من الخشب . قطعة الخشب هذه لم تكن لها قيمة ، كانت مجرد لوح خشب عادى كالذى يحرق فى الشتاء فى المواقد والمدافئ لإضرام نار متوهجة لتدفئة الحجرات .

لا أعرف من أين أتت ، ولكن الحقيقة أنه فى يوم جميل كانت هذه القطعة من الخشب موضوعة فى دكان نجار عجوز اسمه السيد أنتونيو ، ويناديه الجميع بالسيد تشيرى ؛ لأن أرنبة أنفه كانت دائمًا حمراء لامعة كالكريزة الناضجة .

ما إن وقع بصر السيد تشيرى على هذه القطعة من الخشب حتى تهلل وجهه بالفرحة وقال فى نفسه برقة وهو يفرك يديه معًا بامتنان :

- « هذه القطعة الخشبية جاءت فى اللحظة المناسبة ، إنها مناسبة تمامًا لعمل رجل لمنضدة صغيرة »

بعد أن قال ذلك ، أخذ فى التو بلطة حامية لإزالة اللحاء والسطح الخشن ، وهمَّ بالضربة الأولى ، ولكن ذراعه ظل معلقًا فى الهواء ؛ لأنه سمع صوتًا رقيقًا يقول بتوسل : « لا تضربنى بهذه الشدة »

تصور أنت مقدار الدهشة التى أصابت السيد تشيرى ، جال بعينيه المذعورتين فى أركان الغرفة محاولا اكتشاف من أى مكان يُحتمل أن يكون هذا الصوت الرقيق قد جاء ، ولكنه لم ير أى إنسان ، نظر تحت المنضدة .. لا أحد ، نظر داخل الدولاب الذى كان دائمًا مقفلا .. لا أحد ، نظر داخل سلة المناشير والمساحات .. لا أحد ، حتى إنه فتح باب الدكان وجال ببصره فى الشارع .. لا أحد أيضًا ، مَن إذن يمكن أن يكون ذلك ؟

- « أنا أعرف ذلك » قال ضاحكًا وهو يهرش باروكته « من الواضح أن هذا الصوت الرقيق كان محض خيال . فلنعد إلى العمل مرة أخرى »

أخذ البلطة وضرب قطعة الخشب ضربة عظيمة ؛ « آه ، آه ، لقد آذيتنى » صرخ الصوت الرقيق نفسه متألمًا .

فى هذه المرة كان السيد تشيرى قد تسمَّر فى مكانه . جحظت عينا رأسه من الخوف ، وظل فمه مفتوحًا ولسانه خارج فمه وكأنه تمثال على نافورة . وما إن تمكن من الكلام ، حتى بدأ فى القول وهو يهتز من الخوف :

« ولكن من أين فى الأرض جاء هذا الصوت الذى يقول آه ، آه ؟ لا يوجد هنا بالتأكيد أى كائن حى . من المستحيل أن تكون هذه القطعة من الخشب قد تعلمت البكاء والعويل كالطفل ؟ لا أستطيع أن أصدِّق أن هذه القطعة من الخشب ، والتى هى لوح للوقود كغيرها يختفى داخلها أى شخص . إذا كان هناك أى شخص مختفيًا داخلها ، سيكون ذلك لسوء طالعه ، فأنا سوف أنتهى منه فى الحال » .

وما إن قال ذلك ، حتى أمسك بقطعة الخشب وبدأ يضربها بلا رحمة بجدران الحجرة .

ثم توقف لينصت ما إذا كان بإمكانه سماع أى صوت يتألم . انتظر دقيقتين .. لا شىء ، خمس دقائق .. لا شىء ، عشر دقائق .. لا شىء أيضًا .

« أرى الآن كيف كان ذلك » قال مغتصبًا ضحكة وهو يدفع باروكة شعره لأعلى « من الواضح أن ذلك الصوت الخافت الذى قال آه ، آه ، كان مجرد خيال محض . فلنعد إلى العمل مرة أخرى »

رغم ذلك ، كان خائفًا جدًا ؛ لذا حاول الغناء ليعطى لنفسه قليلاً من الشجاعة .

وضع البلطة جانبًا ، وأخذ الفارة ليمسح ويلمِّع قطعة الخشب ، ولكنه بينما كان يمر بها لأعلى وأسفل سمع الصوت الرقيق نفسه يقول ضاحكا :

- « كفى ، أنت تدغدغني بكاملي »

في هذه المرة سقط السيد تشيرى المسكين كما لو كان قد صعقه البرق ، وعندما فتح عينيه أخيراً وجد نفسه جالساً على الأرض .

كان وجهه قد تغيَّر تغيراً كبيراً ، حتى أرنبة أنفه بدلاً من أن تكون حمراء كما كانت دائماً ، أصبحت زرقاء من الخوف .

الفصل الثانى

السيد تشيرى يهدى قطعة الخشب إلى صديقه چيبتيو الذى يأخذها ليصنع لنفسه تمثالاً عجيباً ، سوف يتعلم كيف يرقص ، وكيف يلعب بالسيف ، وكيف يقفز كالبهلوان

فى هذه اللحظة ، كان هناك من يدق الباب :

- « ادخل » قالها النجار دون أن تكون لديه القوة ليقف على قدميه . دخل إلى الدكان رجل عجوز ضئيل الجسم لكن فى حيوية واضحة. كان اسمه چيبتيو ، ولكن عندما كان الصبية فى الجوار يريدون إثارته كانوا ينادونه باسم يستفزه هو « بولندينا » ؛ لأن باروكته الصفراء تشبه - إلى حد كبير - البودنج المصنوع من الذرة اللذيذة .

كان چيبتيو شديد الثورة واللعنة على من يسميه بولندينا ؛ لأنه سيصبح شديد الغضب ولا شىء يوقفه.

- « يومك سعيد ، يا سيد أنتونيو » قال چيبتيو « ما الذى تفعله هناك على الأرض ؟»

- « أعلِّم النمل الحروف الأبجدية »

- « لعل ذلك يكون مفيداً جداً لك »

- « ما الذى جاء بك إلىّ ، أيها الجار چيبتيو ؟»

- « قدماى . ولكن إذا أردت الحقيقة يا سيد أنتونيو ، فأنا جئت لأسألك خدمة »

- « ها أنذا مستعد لخدمتك » أجاب النجار جاثيًا على ركبتيه .

- « هذا الصباح طرأت على عقلى فكرة »

- « فلنسمعها »

- « فكرت فى أن أصنع تمثالاً جميلاً ، وسيكون تمثالاً رائعًا ، يجب أن يعرف كيف يرقص ، ويلعب بالسيف ، ويتلوى كالبهلوان . وبهذا التمثال سوف أسافر حول العالم لكى أكسب كثيراً من الخبز وأقداح النبيذ . ما رأيك في ذلك ؟»

- « براڤو ، بولنديينا » صاح الصوت الرقيق نفسه ، وكان من المستحيل القول من أين أتى .

وما إن سمع من يناديه بـ «بولنديينا» حتى أصبح وجه چيبتيو محمراً كعرف الديك من الغضب ، واتجه إلى النجار قائلاً بغضب شديد :

- « لماذا تهيننى ؟»

- « من الذى أهانك ؟»

- « لقد ناديتنى بولنديينا ؟»

- « لم يكن أنا »

– « هل أنا من فعل ذلك ؟ إنه أنت كما أقول »

– « لا »

– « نعم »

– « لا »

– « نعم »

ولأنه أصبح غاضباً أكثر وأكثر ، تحولا من الكلمات إلى اللكمات ، واندفعا إلى بعضهما يتعاركان ويخربشان وجهيهما بالأظافر ، ويعض كل منهما الآخر بأسنانه .

عندما انتهت المعركة ، كان السيد تشيرى فى حوزته الباروكة الصفراء الخاصة بجيبتيو ، واكتشف جيبتيو أن الباروكة الرمادية الخاصة بالنجار كانت بين أسنانه .

– « أعطنى باروكتي » صرخ السيد أنتونيو .

– « وأنت أعطنى باروكتى ولنعد أصدقاء »

وما إن حصل كل منهما على باروكته حتى تصافحا وأقسما أن يظلا أصدقاء حتى نهاية العمر .

– « حسنا أيها الجار چيبتيو » قالها النجار ليثبت أن السلام قد حلَّ « ما هى الخدمة التى تطلبها منى ؟»

– « أريد القليل من الخشب لأصنع تمثالى ، فهل تعطينى بعضاً منه ؟»

كان السيد أنتونيو مسروراً وذهب على الفور إلى المنضدة ، وبحث عن قطعة الخشب التى سببت له كل هذا الخوف . ولكنه ما إن حاول أن يعطيها لصديقه حتى اهتزت قطعة الخشب وتخلصت بعنف من يديه وضربت بقوة ساقى المسكين چيبتيو الجافتين .

– « آه ، أهذه هى الطريقة التى تقدم بها هداياك يا سيد أنتونيو ؟ لقد أعجزتنى تقريباً »

– « أقسم لك أنه لم يكن أنا !»

– « إذن لعلك تعتقد أنه أنا من فعل ذلك »

– « قطعة الخشب هى الملومة »

– « أنا أعرف أنها قطعة الخشب ، ولكنك أنت من ضرب ساقى بها »

– « أنا لم أضربك بها »

– « كاذب »

– « چيبتيو ، لا تهيننى وإلا سأدعوك بولنديناً !»

– « جحش »

– « بولندينا »

- « حمار »

- « بولندينا »

- « قرد »

- « بولندينا »

وما إن سمع نفسه يدعى بولندينا للمرة الثالثة ، حتى هجم جيبتيو وقد ثارت ثائرته على النجار وتصارعا باستماتة .

عندما انتهت المعركة ، أصبح للسيد أنتونيو خربوشان إضافيان على أنفه ، وفقد غريمه زرارين من أزرار سرواله . ولأن حسابهما قد تساوى ؛ تصافحا وأقسما أن يظلا أصدقاء حتى نهاية العمر .

حمل جيبتيو قطعة الخشب القيّمة شاكراً للسيد أنتونيو وعاد وهو يعرج إلى بيته .

الفصل الثالث

بعد أن عاد چيبتيو إلى البيت بدأ فى التَّــو صُنع التمثال الذى أعطاه اسم بينوكيو

أول الحيل التى قام بها التمثال

كان چيبتيو يعيش فى حجـرة صغيرة بالدور الأرضــى لا يصل إليها الضـوء إلا عبر السلم . وكان أثاثها شـديد البسـاطة : كرسى مكسور ، وسرير بائس ، ومنضدة متهالكة . وفى نهاية الحجرة كانت توجد مدفأة بها نار موقدة ، ولكن النار كانت رسماً فى لوحة وبجوارها رُسمت كسرولة فى حالة غليان وترسل سحابة من الدخان بدا كالدخان الحقيقى تماماً .

وما إن وصل إلى البيت حتى أخذ چيبتيو أدواته وبدأ العمل فى تشكيل وصنع التمثال .

« ما الاسم الذى سوف أعطيه له ؟» قال لنفسه « أعتقد أننى سأدعوه بينوكيو . إنه اسم سوف يجلب له الحظ ، لقد عرفت مرة عائلة بكاملها تدعى كذلك . كان هناك بينوكيو الأب ، وبينوشيا الأم ، وبينوكيو الأطفال وجميعهم ماتوا ، كان أغناهم شحاذاً »

وما إن وجد اسمًا لتمثاله ، حتى بدأ فى العمل بجدية فصنع فى البدايه شعره ثم جبهته ثم عينيه .

وعندما انتهى من عينيه ، لك أن تتخيل دهشته عندما وجد أنهما قد تحركتا ونظرتا إليه بثبات .

وما إن وجد چيبتيو نفسه وهاتان العينان الخشبيتان تنظران إليه ، حتى أخذ ذلك على محمل سيئ ، وقال فى صوت غاضب :

- « أيتها العينان الخشبيتان الشريرتان ، لماذا تنظران نحوى ؟»

لم يجبه أحد .

بدأ بعد ذلك فى نحت الأنف ، ولكنه ما إن فعل ذلك حتَى بدأت فى الكبر وأخذت تكبر وتكبر وتكبر حتى صارت أنفًا شديدة الضخامة فى دقائق قليلة كما لو كانت لن تكف عن الكبر، قام المسكين چيبتيو بقطعها وكلما قطعها وصغّرها كلما زادت فى الكبر .

لم يكن الفم قد اكتمل بعد حتى بدأ فى الضحك ساخرًا منه .

- « توقف عن الضحك » قالها چيبتيو وقد استفزه الضحك ، لكنه كان كمن يتحدث إلى الجدار .

- « توقف عن الضحك ، كما أقول » زمجر فى نبرة متوعدة . توقف الفم عن الضحك ، ولكنه أخرج لسانه إلى آخر مدى يمكن أن يصل إليه .

ولكن چيبتيو لم يكن ليفسد عمل يده ، فتظاهر بعدم الرؤية واستمر في العمل . بعد أن أكمل الفم قام بنحت الذقن ، ثم الرقبة ، ثم الكتفين ، وبعد ذلك البطن والذراعين واليدين .

لم يكد ينتهي من اليدين حتى أحس چيبتيو بباروكته تخطف من على رأسه . التفت حوله، فماذا رأى ؟ رأى باروكته الصفراء في يد التمثال .

- « بينوكيو ، أعطني باروكتي حالاً !»

ولكن بينوكيو بدلاً من أن يعيدها له ، وضعها على رأسه هو فكاد أن يختنق .

نتيجة هذا السلوك الوقح الهزلي ، أحس چيبتيو بالحزن والثورة أكثر من أي وقت مضى في عمره والتفت إلى بينوكيو قائلاً له :

« أيها الوغد الصغير ، أنت لم تكتمل بعد وها أنت تسلك سلوكًا سيئًا ليس فيه أدنى احترام لوالدك . هذا أمر مشين يا ولدي ، وسيئ جداً » . ومسح دمعة طفرت من عينيه . بقيت الساقان والقدمان لم تنحتا بعد .

عندما انتهى چيبيتو من القدمين أصابته خبطة في ذؤابة أنفه .

- « أنا أستحق ذلك » قالها لنفسه « كان يجب أن أفكر في ذلك منذ مدة . الآن فات الأوان »

أخذ بعد ذلك التمثال تحت إبطه ثم وضعه على الأرض ليعلِّمه كيف يمشي . كانت ساقا بينوكيو لا تزال جامدة ولا يستطيع الحركة ، ولكن

چيبتيو قاده من يديه وأراه كيف يضع قدمًا قبل الأخرى ، وعندما أصبحت ساقاه مرنتين ، بدأ بينوكيو السير معتمدًا على نفسه ، ثم راح يجرى هنا وهناك حول الحجرة ، حتى إذا ما خرج من باب البيت ، قفز إلى الشارع وهرب ..

اندفع چيبتيو المسكين خلفه ، ولكنه لم يستطع أن يلحق به ؛ لأن الوغد بينوكيو قفز أمامه كالأرنب البرى واندفع يجرى فى الشارع ، وأحدث وقع قدميه الخشبيتين على أرضية الشارع صوتًا يعادل صوت عشرين زوجًا من قباقيب الفلاحين .

– « أوقفوه ، أوقفوه » صاح چيبتيو ، ولكن الناس فى الشارع عند رؤيتهم التمثال الخشبى وهو يجرى كحصان السباق ، تجمدوا فى أماكنهم من الدهشة وظلوا يضحكون ويضحكون ويضحكون بصورة لا توصف.

أخيرًا – ولحسن الحظ – وصل رجل شرطة مسلح عند سماعه الضوضاء ، وظن أن جحشًا أفلت من سيده . وقف الرجل فى وسط الطريق بشجاعة واضعًا يديه فى خاصرته ، وساقاه منفرجتان وانتظر بإصرار لإيقافه، وليمنع حدوث ما هو أسوأ .

وبينما كان بينوكيو لايزال على مسافة منه ، رأى الرجل وقد سدّ الشارع بكامله ، فحاول مراوغته بالمرور من بين ساقيه ولكنه للأسف فشل فى ذلك .

ودون أن يبذل أى جهد ، أمسك به الرجل من أنفه ؛ لأنها كانت ضخمة وتبدو غير معقوله وكأنها صُنعت لغرض أن يمسك بها رجال الشرطة ثم سلمه لچيبتيو .

ولرغبته فى أن يعاقبه ، أراد چيبتيو أن يقرص أذنيه فى التو واللحظة ، ولكنه لم يفلح فى أن يجد أذنيه ؛ لأنه فى أثناء تسرعه لكى يفرغ من صنعه ، نسى أن يصنع له أذنين .

أخذه من رقبته وبينما هو يسحبه بعيداً قال له متوعداً :

- « سوف نذهب للبيت حالاً ، وما إن نصل حتى نسوى حسابنا . لا تشك فى ذلك »

عند هذا الإعلان ، ألقى بينوكيو بنفسه على الأرض ورفض أن يمشى خطوة واحدة أخرى. فى هذا الوقت ، بدأت جمهرة من المتسكعين والفضوليين التجمع فى حلقة حولهما وهم يتهامسون .

بعضهم قال :

- « التمثال المسكين على حق فى عدم الرغبة فى العودة للبيت . من يعرف كيف سيضربه هذا العجوز الأحمق چيبتيو ؟»

وأضاف الآخرون بخبث :

- « چيبتيو يبدو رجلاً طيباً ، ولكنه مع الصبية يصبح طاغية . لو تُرك هذا التمثال المسكين فى يديه فإنه قادر على تمزيقه إرباً »

انتهـى الأمـر بعـد ذلك ، بأن أطلق رجل الشرطة سراح بينوكيو وأخذ چيبتيو إلى السجن . ولأن الرجل المسكين لم يكن مستعداً بكلمات يدافـع بهـا عن نفسه ؛ بكى كالعجل ، وبينما هم يقتادونه إلى السجن قال باكيًا :

- « صبى خسيس ، وأنا الذى تعبت لأصنع منه تمثالاً طيب السلوك ، ولكنى أستحق ذلك ، كان يجب على أن أفكر فى ذلك مبكراً » .

ما حدث بعد ذلك يفوق كل تصور !!

الفصل الرابع

قصة بينوكيو والصرصار المتكلم ، ومنها نرى أن الصبية المشاغبين لا يتحملون تقويمهم بواسطة من يعرفون أكثر منهم

بينما چيبتيو المسكين يتم اقتياده إلى السجن لخطأ لم يرتكبه ، فإن بينوكيو العفريت - وقد وجد نفسه حراً من كلبشات رجل الشرطة - انطلق جارياً بأقصى سرعة تستطيعها قدماه . ولرغبته فى الوصول إلى البيت بسرعة انطلق عبر الحقول . وفى سرعته المجنونة قفز فوق الجسور العالية ، والأسوار الشوكية ، والخنادق المليئة بالماء ، تماماً كما يفعل الجدى أو الأرنب البرى إذا ما تعقبه الصيادون .

وما إن وصل إلى البيت ، حتى وجد أن الباب المطل على الشارع موارباً . دفعه ليفتحه ، ثم دخل وأغلق خلفه بالمزلاج وقذف بنفسه على الأرض وقد غمره شعور بالراحة .

ولكن راحته لم تدم طويلاً ؛ حيث سمع أحداً فى الحجرة يقول « كرسى - كرسى - كرسى »

- « من ينادينى » قال بينوكيو مذعوراً !

- « إنه أنا »

التفت بينوكيو حوله فرأى صرصاراً ضخماً يزحف ببطء أعلى الجدار .

- « قل لى أيها الصرصار ، من تكون ؟»

- « أنا الصرصار المتكلم ، وقد عشت فى هذه الحجرة مائة عام وأكثر »

- « الآن ، هذه الغرفة ملكى » قال له التمثال : « وإذا كنت تريد لى السعادة ، اذهب بعيداً فى الحال، دون حتى أن تلتفت »

- « لن أذهب » أجاب الصرصار « إلا بعد أن أقول لك حقيقة عظيمة »

- « قلها إذن ، ولا تتردد فى ذلك »

- « الويل لهؤلاء الصبية الذين يتمردون على والديهم ، ويهربون من البيت بلا مبالاة ؛ فهم لن يصلوا إلى أى شىء طيب فى الدنيا ، وعاجلاً أم آجلاً سيندمون بمرارة »

- « قل ما تشاء أيها الصرصار ، وكما يطيب لك . أما أنا ، فقد قررت الهرب غداً عند الفجر ؛ لأننى إذا بقيت فلن أهرب من مصير كل الصبية الآخرين . لسوف أرسل للمدرسة وأُرغم على التعلم سواءً كنت أرغب فى ذلك أم لا أرغب . إن الأكثر متعة بالنسبة لى أن أطارد الفراشات وأتسلق الأشجار ، وأن آخذ صغار الطير من أوكارها »

– « أيها الساذج الصغير المسكين ! ألا تعرف أنك بهذا الأسلوب سوف تصبح حماراً كبيراً ، وسوف يجعل منك كل شخص ألعوبة ؟

– « احفظ لسانك أيها الصرصار الشرير سيئ النبوءة » صاح به بينوكيو .

ولكن الصرصار ، الذى كان صبوراً ومتفلسفاً ، بدلاً من أن يصير غاضباً تجاه هذه الوقاحة ، استمر قائلاً بالنبرة نفسها :

– « ولكن إذا لم تكن ترغب فى الذهاب إلى المدرسة ، لماذا لا تتعلم حرفة واحدة على الأقل ، ليتسنى لك أن تكسب بشرف لقمة عيشك ؟»

– « هناك شىء أريد أن أقوله لك » أجاب بينوكيو وقد بدأ يفقد صبره « من بين كل الحِرف فى العالم هناك حرفة واحدة تستولى على إعجابى »

– « وهذه الحرفة ما هى ؟»

– « هى أن آكل وأشرب وأنام وأمتع نفسى وأمارس حياة التشرد من الصباح حتى المساء »

– « كقاعدة » قال الصرصار المتكلم بالوقار نفسه « كل الذين يسلكون هذه الحرفة ينتهى بهم الأمر دائماً : إما إلى المستشفى أو إلى السجن »

– « حذار أيها الصرصار الشرير سيئ النبوءة ، الويل لك إذا استثرتنى »

– « مسكين بينوكيو – إنني أرثي لحالك »

– « لماذا ترثي لحالي ؟»

– « لأنك تمثال ، والأسوأ من ذلك أن لك رأسًا من الخشب »

عند هذه الكلمات ، قفز بينوكيو لأعلى في هياج ، واختطف شاكوشًا خشبيًا من فوق المنضدة وقذف به الصرصار المتكلم .. ربما لم يكن يقصد أن يصيبه ، ولكن للأسف أصابت الضربة رأس الصرصار ، لدرجة أنه استطاع بالكاد أن يتنفس ، وغلبته الدموع فبكى ، واستقر بعدها منبسطًا على الجدار .

الفصل الخامس

بينوكيو جائع ويبحث عن بيضة ليصنع لنفسه قرص عجة ، ولكن عند اللحظة الحاسمة يطير قرص العجة من الشباك

كان الليل على وشك القدوم ، وتذكر بينوكيو أنه لم يتناول شيئًا طوال اليوم ، وبدأ يشعر بقرقضة فى معدته تشبه الشهية .

ولكن الشهية مع الصبية سريعة المفعول ، ففى الحقيقة أنه بعد بضع دقائق أصبحت شهيته جوعًا ، وفى لمح البصر أصبح جوعه شديدًا لا يمكن تحمله .

جرى بينوكيو المسكين بسرعة إلى المدفأة حيث الكسرولة تغلى ، وكاد يزيح الغطاء ليرى ما هو موجود بها ، ولكن الكسرولة كانت مجرد رسم على الجدار ، وبدأت أنفه ، التى كانت تبدو طويلة بالفعل ، تطول وتطول حتى أصبحت أطول بثلاثة أصابع على الأقل .

أخذ يجرى حول الغرفة ، باحثًا فى الأدراج وفى كل مكان عن أى شىء يمكن أن يأكله ، حتى ولو كانت كسرة من الخبز الجاف ، أو عظمة تركها كلب ، أو عصيدة عفنة ، أو قليلاً من الذرة الهندية ، أو عظام سمك ، أو بذرة كريز ، أى شىء يسد به رمقه . ولكنه لم يجد شيئًا ،

لا شيء على الإطلاق . في هذه الأثناء كان جوعه يزيد ويزيد ولم يكن لدى بينوكيو المسكين أية سلوى غير التثاؤب ، وعندما تثاءب كان تثاؤبه عظيماً حتى إنه اتسع ووصل فمه لمكان أذنيه ، التى لم تكن أصلاً موجودة .

بعد أن تثاءب ، غمغم وأحس كما لو أنه فى سبيله للإغماء ، عند ذلك أخذ ينهنه من اليأس وقال : « الصرصار المتكلم كان على صواب . لقد أخطأت بالتمرد على بابا وبالهرب من البيت . لو كان بابا هنا لم أكن لأموت من الجوع ، آه ، « ما الجوع إلا مرض مخيف !»

تذكر أنه رأى شيئًا فى كومة التراب ، شيئًا مستديراً أبيض ويبدو كبيضة دجاجة كيف يقفز ويستحوذ عليها . كان شغله الشاغل تلك اللحظة . لقد كانت بيضة حقًا . كانت فرحة بينوكيو عظيمة وتفوق الوصف، أحس بأن ذلك لا يعدو أن يكون مجرد حلم ، فأخذ يقلِّب البيضة بين يديه ويتحسسها ويقبِّلها وبينما هو يقبِّلها قال :

– « والآن كيف أطهوها ؟ هل أصنع قرص عجة ؟ ... لا ، من الأفضل أن أطهوها فى طبق ... أليس من الألذ أن أقوم بقليها فى المقلاة ؟ أم أن أقوم بسلقها ؟ لا ، أسرع طريقة هى أن أطهوها فى طبق. فأنا فى عجلة كى آكلها » .

ودون أن يضيع وقته ، وضع طبقًا من الفخار على موقد ملىء بالخشب المشتعل وصب فى الطبق ماء بدلاً من الزيت أو الزبد ، وعندما بدأ الماء فى الغليان كسر قشرة البيضة لكى تسقط محتوياتها فيه ،

ولكن بدلاً من البياض والصفار ، خرج منها كتكوت صغير وهو يصوصو في مرح، وبمجاملة رقيقة قال له :

- « ألف شكر ، ياسيد بينوكيو ، فقد أغنيتني عن مشقة كسر القشرة . الوداع حتى نلتقي مرة أخرى. حافظ على نفسك ، وتحياتي لكل من بالمنزل »

وما إن قال ذلك حتى فرد جناحيه وانطلق عبر النافذة المفتوحة وطار بعيداً مختفيًا عن الأنظار . كان بينوكيو يبدو كالمسحور جامد النظرات ، فاغر الفم ، وفي يده قشرة البيضة .

وما إن أفاق من ذهوله ، حتى أخذ في البكاء والصراخ وراح يضرب الأرض بقدميه من الحزن ، وانفجر في البكاء .. ، وقال لنفسه متمتماً وهو يذرف الدمع :

- «لاشك أن الصرصار المتكلم كان على صواب . لو لم أكن قد هربت من البيت ، أو لو كان بابا هنا ، لم أكن لأموت من الجوع الآن . ما أبشع الجوع »

كان الجوع يؤلمه ومعدته تصرخ أكثر من أي وقت آخر ، ولا يعرف كيف يهدئها ، حينئذ فكر في أن يترك البيت ويقوم برحلة في الجوار على أمل أن يجد شخصاً طيباً يمكن أن يعطيه قطعة من الخبز .

الفصل السادس

بينوكيو يغلبه النعاس ويترك قدميه على موقد النار وعندما يستيقظ فى الصباح يجد نفسه قد احترق

كانت ليلة موحشة عاصفة من ليالى الشتاء ، وكان الرعد رهيبًا والبرق وضّاءً لدرجة أن السماء بدت وكأنها تحترق . كانت الريح العاتية المريرة تزأر ، وتصفِّر بقوة ، وتثير سحبًا من الغبار فوق البلدة ، وتجعل الأشجار تنثنى بشدة وتتمايل وتتأوه .

كان بينوكيو يخاف خوفًا شديداً من الرعد ، ولكن جوعه كان أشد من خوفه . أغلق باب البيت واندفع إلى القرية فوصلها فى مائة قفزة ولسانه يتدلى خارج فمه ويلهث بشدة مثل كلب الصيد الذى يلهث.

لكنه وجد القرية مظلمة وخاوية . كانت الحوانيت مقفلة والشبابيك مغلقة ، ولم يكن هناك أحد فى الشارع حتى ولو كلبًا شارداً ، وبدت القرية وكأنها أرض للموتى .

كان اليأس والجوع يمزقانه . أمسك بجرس أحد البيوت وبدأ فى قرعه بكل قوة قائلاً لنفسه :

- « سوف يأتي ذلك بأحد »

وهذا ما حدث . ظهر رجل عجوز صغير الحجم عند الشباك وعلى رأسه قلنسوة وقال له غاضباً :

- « ما الذي تريده في ساعة كهذه ؟»

- « هل تكون عطوفاً وتعطيني بعض الخبز ؟»

- « انتظر هناك . سوف أعود في الحال » قالها الرجل الصغير معتقداً أن عليه التعامل مع أحد الصبية الأوغاد ، الذين يتسلون في الليل بقرع أجراس المنازل لإيقاظ الناس المحترمين النائمين في سلام .

بعد نصف دقيقة ، فتحت النافذة مرة أخرى ، وصاح صوت الرجل الصغير في بينوكيو :

- « تعال إلى أسفل وأمسك بقلنسوتك »

لم يكن لدى بينوكيو قلنسوة ، ولكنه وهو واقف تحت الشباك كانت قربة ضخمة من الماء تتدفق فوقه، فابتل من رأسه لقدميه كما لو كان قطعة من القماش .

عاد إلى البيت كالكتكوت المبتل ، مجهداً من التعب والجوع ، لا يكاد يستطيع الوقوف على قدميه ، فجلس ووضع قدميه المبتلتين والمتسختين بالطين على منقد النار المليء بالخشب المشتعل لكي تجفا .

غلبه النعاس . وبينما هو نائم أمسكت النار بقدميه الخشبيتين ، وشيئًا فشيئا احترقتا وأصبحتا فحمًا . استمر بينوكيو نائمًا يشخر كما لو أن قدميه يخصان شخصًا آخر . وأخيراً وعند الفجر استيقظ ؛ لأن شخصاً كان يدق الباب .

– « من هناك » سأل متثائبًا وهو يفرك عينيه .

– « إنه أنا » أجاب الصوت ، وكان الصوت هو صوت چيبتيو .

الفصل السابع

چيبتيو يعود للبيت ويعطى بينوكيو الإفطار الذى أحضره الرجل المسكين لنفسه

مسكين بينوكيو ، الذى كانت عيناه لا تزالان نصف مغمضتين من النوم ، ولم يكن قد اكتشف بعد أن قدميه قد احترقتا . ولحظة أن سمع صوت أبيه ، ترك المقعد وجرى ليفتح الباب ، وبعد أن تعثر مرتين أو ثلاث مرات سقط بكامل طوله على الأرض .

الضوضاء التى أحدثها سقوطه كانت كما لو أن زكيبة من المغارف الخشبية قد قُذفت إلى الأرض من الطابق الخامس وأحدثت دوياً .

- « افتح الباب » صاح چيبتيو من الشارع .

- « بابا العزيز ، لا أستطيع » أجاب التمثال باكياً وهو يدور على الأرض .

- « لماذا لا تستطيع ؟»

- « لأن قدماى أكلتا »

- « ومن أكل قدماك ؟»

– « القطة » أجاب بينوكيو عندما رأى القطة التى كانت تسلى نفسها بحمل بعض المكانس بمخالبها الأمامية والرقص بها .

– « افتح الباب كما أقول لك » كرر چيبتيو « إذا لم تفعل ، فما أن أدخل إلى البيت سوف تنال جزاءك منى »

– « لا أستطيع الوقوف ، صدقنى . آه ، مسكين أنا ، مسكين أنا ، لسوف يكون علىّ أن أمشى على ركبتى حتى نهاية عمرى »

ظن چيبتيو أن كل هذا العويل ما هو إلا خدعة أخرى من خدع التمثال ، وفكر فى طريقة يضع بها نهاية لذلك فتسلق الجدار ودخل عن طريق الشباك .

كان غاضبًا جدًا ، وفى البداية لم يفعل شيئًا سوى الزجر ، ولكنه عندما رأى بينوكيو ملقى على الأرض وبدون قدمين أخذته الدهشة . احتضنه بين ذراعيه وبدأ فى تقبيله وهو يتمتم بآلاف الكلمات المحببة له ، وبينما الدموع الغزيرة تنهمر على وجنتيه قال :

– « بينوكيو يا صغيرى ؟ كيف احترقت قدماك ؟»

– « لا أعرف يا بابا ، صدقنى لقد كانت ليلة مروعة سوف أتذكرها ما حييت . لقد أرعدت السماء وبرقت وكنت جائعًا جدًا ، ولقد قال لى الصرصار المتكلم : أنت تستحق ذلك ، لقد كنت شريرًا وتستحق ذلك » وقلت له : « احترس أيها الصرصار ... » وقال لى : « أنت تمثال ولك رأس من الخشب » ولقد رميته بيد المطرقه ومات ، ولكنها كانت غلطته !

لأنى لم أرغب فى قتله ، والدليل على ذلك أننى وضعت الطبق الفخار على المجمرة ذات الخشب المحترق ، ولكن طار الكتكوت خارجًا وقال : « الوداع حتى نلتقى مرة أخرى مع كثير من التحية إلى من هم بالمنزل » وصرت جائعًا أكثر ؛ ولهذا السبب فإن الرجل الضئيل فى رداء النوم فتح النافذة وقال لى : « تعال بأسفل وأمسك بقبعتك » وصب وعاءً مليئًا بالماء على رأسى ؛ لأن السؤال عن قطعة من الخبز ليس مشينًا ، أليس كذلك ؟ وعدت إلى البيت مباشرة . ولأنى كنت دائمًا جائعًا ؛ وضعت قدماى على موقد النار لتجفا وعدت أنت ، ووجدت أنهما قد احترقتا وأنا دائمًا جائعٌ ، ولكنى لا أملك قدمين الآن آه آه آه آه ...» وبدأ بينوكيو المسكين فى البكاء والنشيج بصوت عال لدرجة أنه كان يسمع على بعد خمسة أميال .

چيبتيو ، الذى لم يفهم من كل هذا السرد إلا شيئًا واحدًا – وهو أن التمثال يكاد يموت جوعًا ، سحب من جيبه ثلاث حبات كمثرى وأعطاها له قائلاً :

– « هذه الكمثرى كانت خاصة بإفطارى ، ولكنى سأعطيها لك راضيًا . خذها وكلها وآمل أن يصنعوا بك خيرًا » .

– « لو كنت تريدنى أن آكلها ، فكن طيبًا وقشرها لى » .

– « أقشرها ؟» صاح مندهشًا ، لم يطرأ على بالى مطلقًا أيها الصبى أنك بهذه العجرفة والتعالى . إن هناك شيئًا يجب أن نعوّد أنفسنا من الطفولة عليه ، وهو أن نحب ونأكل كل شىء ؛ لأننا لا نعرف ما قد نلاقيه غدًا فهناك الكثير من المناسبات ...»

– « أنت بلاشك على صواب » قاطعه بينوكيو « ولكني لا أستطيع مطلقًا أن آكل فاكهة غير مقشرة. لا يمكنني تحمل القشر »

بحث چيبتيو الطيب عن سكين وتسلح بالصبر وقام بتقشير الثمرات الثلاث ، ووضع القشر على ركن المنضدة .

قطع بينوكيو الكمثراية الأولى إلى قطعتين ، وهمَّ بأن يلقى بقلب الثمرة بعيدًا ولكن چيبتيو أمسك بذراعه قائلاً :

– « لا ترم ذلك ، فى هذا العالم كل شىء قد تكون له فائدة »

– « ولكنى مُصر على ألا آكل القلب » صاح التمثال منثنيًا تجاهه كالأفعى .

– « من يدرى . هناك الكثير من المناسبات التى قد نحتاج فيها لقلوب ثمرات الكمثرى » كررها چيبتيو دون أن يفقد صبره .

ثم قام بجمع قلوب ثمرات الكمثرى الثلاثة بدلاً من إلقائها من النافذة ووضعها مع القشر على ركن المنضدة .

بعد أن انتهى التمثال من أكل الثلاث ثمار ، تثاءب بشدة وقال بنبرة متبرمة :

– « لازلت جائعًا كما أنا دائمًا »

– « ولكن ، يا ولدى ، لم يعد عندى ما أعطيه لك »

– « لا شىء ، حقًا لا شىء ؟»

- « ليس عندى سوى قشور وقلوب الثمرات الثلاث »

- « يجب على المرء أن يكون صبوراً » قال بينوكيو « إذا لم يكن هناك شىء آخر فسوف آكل قشرة »

وضع القشرة فى فمه وبدأ فى مضغها . فى البداية ظهر على وجهه الامتعاض ولكن بعد أن أكلها واحدة تلو الأخرى بدأ فى أكل القلوب ، وعندما انتهى من أكل كل شىء خبط يديه بجنبيه راضياً وقال بسرور بالغ :

- « آه .. الآن أحس بالراحة »

- « هل ترى الآن .. لا شك أننى كنت على حق عندما قلت لك إنه من غير المفيد أن نكون شديدى التدقيق والحرص بالنسبة لمذاقنا . لا يمكن أبداً أن نعرف ما الذى يمكن أن يحدث لنا يا ولدى العزيز . هناك الكثير جداً من المناسبات ...... »

كان بينوكيو قد غلبه النعاس ونام .. فتوقف چيبتيو عن الكلام .

الفصل الثامن

چيبتيو يصنع لبينوكيو قدمين جديدتين ويبيع معطفه الخاص ليشترى له كتابًا لحروف الهجاء

ما إن أحس التمثال بالشبع حتى بدأ في البكاء والشكوى ؛ لأنه يريد زوجًا جديداً من الأقدام . ولكن چيبتيو الذى عاقبه لسوء سلوكه ، سمح له بالبكاء والتألم لنصف اليوم ثم قال له : « لماذا يجب أن أصنع لك قدمين جديدتين ؟ ألكى أمكِّنك من الهرب ثانية من المنزل ؟»

– « أعدك » أجاب بينوكيو وهو يبكى « إننى سأكون طيبًا فى المستقبل » .

– « كل الأولاد عندما يريدون الحصول على شىء ما يكررون ما تقول نفسه » أجاب چيبتيو .

– « أعدك أن أذهب إلى المدرسة ، وأن أدرس وأن أكتسب خصائص طيبة » .

– « كل الأولاد عندما يريدون الحصول على شىء ما يكررون القصة نفسها »

- « ولكني لست كغيرى من الأولاد ! أنا أفضل منهم جميعًا وأقول الحق دائمًا . أعدك يا أبى أن أتعلم حرفة ، وأن أكون السند والعون لك في شيخوختك »

رغم أن چيبتيو اصطنع وجهًا متجهمًا ، كانت عيناه مغرورقتين بالدموع ، وكان قلبه ثقيلاً من أسفه لرؤية بينوكيو المسكين فى هذا الوضع الذى يرثى له . لم ينطق بكلمة أخرى ، وإنما أخذ أدواته وقطعتين من الخشب الجيد وبدأ العمل بنشاط عظيم .

فى أقل من ساعة كانت القدمان جاهزتين ، قدمان صغيرتان ، سريعتان ، عصبيتان ، وكأن من نحتهما فنان عبقرى . قال چيبتيو بعدها للتمثال :

- « اقفل عينيك واذهب للنوم »

وأقفل بينوكيو عينيه متظاهراً بالنوم .

وبينما هو يتظاهر بالنوم ، جاء چيبتيو ببعض الغراء الذى كان قد أذابه فى قشرة بيضة وقام بتثبيت القدمين فى مكانهما بدقة كبيرة لم يظهر معها أى أثر لمكان وصلهما .

وما إن اكتشف التمثال أن له قدمين حتى قفز نازلاً من على المنضدة التى كان يرقد عليها وبدأ فى الوثب والنط آلاف المرات حول الحجرة وكأنه قد جُن من الفرحة .

- « سأكافئك على ما صنعته من أجلى ، سوف أذهب للمدرسة حالاً » قال بينوكيو لأبيه.

ابتسم چيبتيو ابتسامة طيبة قائلاً : « ولد طيب »

- « ولكن لكى أذهب للمدرسة سوف أحتاج لبعض الملابس »

لم يكن لدى چيبتيو أى مال ، فصنع له صديريا صغيراً من الورق المقوى بالدقيق ، وزوج من الأحذية من لحاء شجرة ، وقلنسوة من لبابة الخبز .

أسرع بينوكيو فى الحال ونظر إلى نفسه فى وعاء به ماء ففرح كثيراً ، وكان شديد السرور بمظهره ، وقال وهو يختال كالطاووس :

- « أنا أبدو كالسيد المهذب تماماً »

- « نعم ، بالتأكيد » أجاب چيبتيو : « وليكن فى معلومك أن ما يجعل السيد مهذباً ليست الملابس الأنيقه وإنما الملابس النظيفة »

- « بالمناسبة » أضاف التمثال « لكى أذهب للمدرسة ينقصنى أهم شىء »

- « وما هو ؟»

- « ليس عندى كتاباً لحروف الهجاء »

- « أنت على حق ، ولكن ماذا نفعل لنحصل على واحد ؟»

- « إن ذلك سهل جداً ، علينا فقط أن نذهب إلى المكتبة ونشتريه »

- « والنقود ؟»

- « ليس معى أيًا منها »

- « ولا أنا » أضاف العجوز الطيب بحزن عظيم . ورغم أن بينوكيو كان صبيًا شديد المرح، أصبح حزينًا هو الآخر ؛ لأن الفقر عندما يكون فقرًا حقيقيًا ، يكون مفهومًا للجميع بما فى ذلك الصبية .

- « حسنًا .. اصبر قليلاً » تنهد چيبتيو وقام واقفًا على قدميه وارتدى معطفه القديم الوبرى الذى تملأه البقع والرقع واندفع خارجًا من البيت . عاد بعد هنيهة ، ممسكًا فى يده كتابًا لحروف الهجاء ، ولكن المعطف القديم كان قد اختفى . كان العجوز المسكين بالقميص فقط بينما الجليد ينهمر خارج المنزل :

- « والمعطف يا والدى ؟»

- « لقد بعته »

- « ولماذا بعته ؟»

- « لأنى كنت محرورًا »

فهم بينوكيو مغزى الإجابة فى لحظة ، ولعدم قدرته على التحكم فى اندفاعة قلبه الطيب ، قفز لأعلى وألقى بذراعيه حول عنق چيبتيو وبدأ فى تقبيله مِرات ومرات .

الفصل التاسع

بينوكيو يبيع كتاب حروف الهجاء ويذهب لمشاهدة عرض للعرائس

ما إن توقف نزول الثلج ، حتى خرج بينوكيو ذاهبًا إلى المدرسة وقد وضع كتاب حروف الهجاء البديع تحت إبطه . وبينما هو فى طريقه بدأ يتخيل آلاف الأشياء فى عقله الصغير ويبنى آلاف القلاع فى الهواء وكل منها أجمل من الأخرى . وقال محدثًا نفسه :

- « اليوم سأتعلم القراءة مباشرة ، وغداً سوف أبدأ الكتابة وبعد غدٍ سأتعلم نقش الحروف . وبما سأتعلمه سوف أربح الكثير من المال ، وبأول نقود أضعها فى جيبى سوف أشترى لأبى فى الحال معطفًا جديداً جميلاً .

بالتأكيد سوف يكون مصنوعًا من الذهب والفضة وتكون له أزرار من الماس . هذا الرجل المسكين يستحق ذلك ؛ فلكى يشترى لى الكتب ويجعلنى أتعلم ، أصبح لا يَرتدى سوى القميص ... فى هذا البرد . إن الآباء فقط هم القادرون على مثل هذه التضحيات .»

وبينما هو يقول ذلك بعاطفة جياشة ، ظن أنه يسمع موسيقى آتية من بعيد صوتها كأنغام نايات، وضربات طبلة : فاى ، فاى ، فاى ، فاى ، زوم ، زوم ، زوم . توقف وأنصت . كان الصوت آتيًا من نهاية الشارع المؤدى إلى القرية الصغيرة على شاطئ البحر .

- « من أين يمكن أن تأتى هذه الموسيقى ؟ يا للأسف علىّ أن أذهب للمدرسة . وإلا .....» وظل مترددًا دون أن يتخذ قرارًا . ولكن كان من الضرورى أن يصل إلى قرار . هل يذهب للمدرسة أو يذهب وراء الموسيقى ؟

- « اليوم سأذهب لسماع الموسيقى وغدًا أذهب للمدرسة » قرر ذلك فى النهاية وهو يهز كتفيه ثم أطلق ساقيه للريح .»

وكلما زاد فى الجرى كلما اقتربت أنغام الموسيقى وضربات الطبلة الكبيرة : فاى ، فاى ، فاى ، زوم ، زوم ، زوم .

وجد نفسه أخيرًا وسط ميدان ملئ بالناس . كانوا ملتفين حول مبنى من الخشب والقماش ملوّن بآلاف الألوان .

- « ما هذا المبنى ؟» سأل بينوكيو صبيًا صغيرًا كان مع الواقفين .

- « اقرأ الإعلان وأنت سوف تعرف »

- « كم أود أن أقرأ الإعلان ، ولكنى اليوم لا أعرف كيف أقرأ »

- « لاعليك أيها الأحمق ! سوف أقرأه لك . المكتوب بالإعلان بأحرف حمراء كالنار يقول :

« مسرح العرائس العظيم »

- « هل بدأت المسرحية منذ وقت طويل ؟»

- « إنها تبدأ الآن »

- « كم يكلف الدخول ؟»

- « بنسين »

بينوكيو ، الذى كان فى قمة الفضول ، فقد كل سيطرة على نفسه ودونما أى حياء قال للصبى الصغير الذى كان يكلمه :

- « هل تقرضنى بنسين حتى الغد ؟»

- « لو أننى أعرفك كنت أقرضك بكل سرور » أجاب الآخر مبتعداً « ولكن من المؤكد أننى لا أستطيع اليوم أن أعطيك إياها »

- « سأعطيك الصديرى مقابل بنسين » قال التمثال للصبى .

- « ماذا تعتقد أننى سأصنع بصديرى من الورق المقوى بالدقيق ؟ لو أمطرت السماء وابتل فسوف يكون مستحيلاً خلعه من ظهرى »

- « هل تشترى الحذاء ؟»

- « إن استعمالهما الوحيد هو فى إيقاد النار »

- « كم تدفع لى فى مقابل القلنسوة ؟»

– « سـوف يكون هذا مكسب رائع . قلنسـوة من فـتـات الخـبـز ! سوف تكون هناك مجازفة أن تأتى الفئران لأكلها من فوق رأسـى »

كان بينوكيو على شوك ، وكان على وشك تقديم عرض آخر ، ولكنه افتقد الشجاعة . تردد وأحس بعدم القدرة على اتخاذ قرار وأخيراً قال :

– « هل تعطينى بنسـين مقابل هذا الكتاب الجديد الخاص بـحروف الهجاء ؟»

– « أنا صبى ولا أشترى من الصبية » أجاب الصبى الصغير الذى كان لديه من الإدراك فوق ما لدى الآخر .

– « سـوف أشـترى الكتاب بينسـين » صـاح بائع جوال رث الملبس كان منصتًا للحوار .

أخيراً تم بيع الكتاب . بينما چيبتيو المسكين قابع فى البيت يرتعد من البرد ؛ لأنه باع معطفه ليشترى لابنه كتاباً لحروف الهجاء .

الفصل العاشر

العرائس تتعرف على شقيقها بينوكيو وتستقبله بسرور ولكن يظهر سيدهم آكل النار ويكون بينوكيو فى خطر سوء النهاية

عندما وصل بينوكيو إلى مسرح العرائس الصغير وقعت واقعة كادت تؤدى إلى ثورة .

كان الستار مرفوعًا وكانت المسرحية قد بدأت بالفعل . على المسرح كان هارلكين وبنشينيلو يتعاركان كالمعتاد مع بعضهما ، ويهددان فى كل لحظة بوقوع كارثة .

كان النظارة المشدوهون يضحكون حتى الإعياء وهم يشاهدون العراك بين الاثنين اللذين أخذا يتماسكان بالأيدى ويدفعان بعضهما بصورة طبيعية جداً لدرجة كادا معها أن يكونا مثل البشر العاقلين وشخصين من الدنيا .

وفى لحظة واحدة توقف هاركلين ملتفتًا إلى المشاهدين ، وأشار بيده إلى واحد يجلس بعيداً فى المقاعد الخلفية وهتف بصوت تمثيلى :

– « يا إلهة القبة الزرقاء ! هل أنا أحلم ، أو أننى مستيقظ ؟ ولكن من المؤكد أن هذا هو بينوكيو .

صاح بنشينيللو : « هو بينوكيو بالتأكيد » .

- « إنه هو بالتأكيد » . صرخت الآنسة روز وهى تتلصص ناظرة من خلف الكواليس .

« إنه بينوكيو إنه بينوكيو » صاحت كل العرائس فى صوت واحد وهى تقفز من كل جانب إلى المسرح « إنه بينوكيو ! إنه بينوكيو ! إنه بينوكيو ، يعيش بينوكيو »

صاح هارلكين : « بينوكيو اصعد إلىّ ، وألق بنفسك بين ذراعى شقيقك الخشبى »

عند هذه الدعوة العاطفية قفز بينوكيو من نهاية الصفوف الخلفية إلى المقاعد الأمامية ، ثم قفز قفزة أخرى جعلته مستقراً على رأس قائد الأوركسترا ، ثم قفزة أخرى إلى المسرح .

كانت الأحضان والمعانقات ولمسات الصداقة والتعبير عن الحب الأخوى الحار التى استقبلها بينوكيو من الجمع المتحمس من ممثلى وممثلات فرقة العرائس الاستعراضية تفوق الوصف .

كان المنظر مؤثراً بلاشك ، ولكن الجمهور فى الصفوف الخلفية عندما وجد أن المسرحية قد توقفت ثار وهتف : « نريد للعرض أن يستمر ... استمروا فى العرض »

لكن بلا جدوى ، فالعرائس بدلاً من الاستمرار فى الأداء ضاعفوا الجلبة والضوضاء وحملوا بينوكيو فوق الأعناق بسعادة وأنزلوه أمام أضواء المسرح .

فى هذه اللحظة جاء مدير العرض . كان ضخمًا وشديد القبح لدرجة أن منظره كان كافيًا ليصيب أى شخص بالرعب . كانت لحيته سوداء فى لون الحبر ، وطويلة جداً لدرجة أنها تصل إلى الأرض . حتى إنه كان يدوس عليها حين يمشي . كان فمه فى حجم الفرن ، وعيناه كناقوسين من الزجاج الأحمر تتوهج داخلها النار . كان يحمل سوطًا كبيرًا مصنوع من ذيول الثعالب والثعابين معًا ، وكان يطرقع به باستمرار .

عند ظهوره غير المتوقع ساد الصمت المطبق ، لم يجرؤ أحد على التنفس لدرجة أن صوت الذبابة كان من الممكن أن يسمع . ارتجفت العرائس المسكينة من الجنسين كأوراق الشجر .

– « أتيت لتشيع الفوضى فى مسرحى ؟» قال مدير المسرح ليينوكيو بصوت غليظ كصوت غول يعانى من ألم شديد فى رأسه

– « صدقنى ، يا سيدى المبجل ، إنها لم تكن غلطتى .... »

– « هذا يكفى ! الليلة سوف نصفى حسابنا »

ما إن انتهى العرض حتى ذهب مدير العرض إلى المطبخ ؛ حيث كان خروفًا طيبًا يُعد لعشائه ويشوى على السيخ أمام النار . ولأنه لم يكن هناك خشبًا كافيًا لإتمام عملية الشوى ، نادى على هارلكين وينشينللو وقال لهما :

– « أحضرا ذلك التمثال هنا ، سوف تجدا أنه معلق فى مسمار »

.. ثم استطرد :

- « يبدو لى أنه مصنوع من خشب جـاف جـداً وأنا واثـق أنـه لو قذف فى النار فسوف يصنع وهجًا جميلاً للشواء .»

في البداية تردد هارلكين وبنشينللو وكانا مفزوعين من النظرة القاسية لسيدهما ، لكنهما أطاعاه ، وبعد هنيهة قصيرة ، رجعا إلى المطبخ وعادا حاملين بينوكيو المسكين الذى كان يقاومهما بكل قوة ، ويصرخ فى يأس « بـابا ، بـابا أنقذنى ، لا أريد أن أموت ، لا أريد أن أموت »

الفصل الحادى عشر

آكل النار يعطس ويعفو عن بينوكيو الذى ينقذ آنذاك حياة صديقه هارلكين

مدير العرض - آكل النار - وكان هذا اسمه - كان مظهره مخيفًا خاصة مع لحيته السوداء التى كانت تغطى صدره وساقيه وكأنها مريلة . رغم ذلك ، لم يكن قاسى القلب . والدليل على ذلك ، أنه عندما رأى بينوكيو وقد أُحضر أمامه وهو يقاوم ويصرخ « لن أموت ، لن أموت » تأثر بشدة وأحس بالشفقة تجاهه . حاول أن يتماسك، ولكن بعد قليل لم يستطع أن يتحمل وعطس بعنف . عندما سمع هاركلين العطسة ، والذى كان حتى تلك اللحظة مضطربا بشدة ، ومنحنيًا لأسفل كصفصافة باكية ، أصبح مبتهجًا ومال إلى بينوكيو هامسًا برقة :

- « أخبار طيبة ، يا عزيزى ، مدير العرض عطس وهذه علامة على شفقته عليك ؛ وبالتالى فقد تم إنقاذك »

ومن العجيب أنه على الرغم من أن معظم الناس عندما يحسون بالشفقة تجاه شخص ما يبكون أو على الأقل يتصنعون البكاء وهم يمسحون الدموع من عيونهم ، فإن آكل النار على العكس من ذلك ، أينما غلبه الشعور بالشفقه فإنه اعتاد أن يعطس .

بعد أن عطس مدير العرض ، الذى كان لا يزال حانقًا ، صاح بينوكيو :

- « كُف عن البكاء ، لقد أصابني نواحك بألم فى معدتى .. أحس بالمغص الذى يكاد يقتلنى .. » وعطس مرة ثانية :

- « يرحمكم الله » قال بينوكيو !

- « أشكرك ، وأبوك وأمك أمازالا أحياءً ؟» سأله آكل النار .

- « أبى نعم ، أما أمى فلم أعرفها قط »

- « من يستطيع أن يتصور حجم الأسف الذى كان سيصيب أباك المسكين إذا كنت قد تركتك تلقى بين هذا الفحم المشتعل ! العجوز المسكين ! أنا أرثى له ... إتسى ، إتسى ، إتسى » وعطس ثلاث مرات متتابعة .

- « يرحمكم الله » قال له بينوكيو !

- « أشكرك ، بعض الرحمة ترجع لطبيعتى ، فكما ترى لا يوجد عندى خشب لأكمل شواء الشاة ، والحقيقة أنه تحت هذه الظروف أنت ذو فائدة عظيمة لى ولكنى أشفقت عليك ، وبالتالى يجب أن يكون عندى صبر . فبدلاً منك سوف أحرق تحت السيخ واحداً من العرائس التى تنتمى لفرقتى .. أيتها الشرطة »

عند هذا النداء ظهر على التو اثنان من رجال الشرطة الخشبية . كانا شديدى الطول ، وشديدى النحافة ، وعلى رأسيهما قبعات من الفلين ويمسكان بسيفين مشهرين فى أيديهما .

قال مدير العرض لهما بصوت أجش :

- « خذا هارلكين ، وقيداه ثم ألقيا به فى النار ليحترق . أنا مُصر على أن تكون الشاة جيدة الشواء .»

ارتعد هارلكين المسكين بشدة لهول ما سمع ! كان رعبه عظيمًا لدرجة أن ساقيه خانتاه فسقط على وجهه فوق خشبة المسرح ، فى مواجهة هذا المنظر المؤلم قذف بينوكيو - الذى كان يبكى بحرقة - بنفسه عند قدميّ مدير العرض ، وأغرق لحيته الطويلة بدموعه وهو يقول فى صوت مختنق بالدموع :

- « الرحمة ، يا سيدى آكل النار ...»

- « لا يوجد هنا سادة » أجاب مدير العرض بحدة .

- « الرحمة ، يا سيدى الفارس ...»

- « لا يوجد هنا فرسان »

- « الرحمة ، أيها القائد ...»

- « لا يوجد هنا قادة ..»

- « الرحمة يا صاحب السمو »

عندما سمع نفسه ينادى بصاحب السمو بدأ مدير العرض فى الابتسام وأصبح لتوه أرق وأكثر لينًا . التفت إلى بينوكيو وسأله : « نعم ، ماذا تريد منى ؟»

– « أنا أناشدك العفو عن هارلكين »

– « لا يمكن أن أعفو عنه ، فلأنني أنقذتك لابد وأن يقذف به في النار ؛ لأنني مصمم على أن تكون الشاة جيدة الشواء .»

– « في هذه الحالة » صاح بينوكيو متفاخراً ، وقد قام ملقياً بعيداً قلنسوته المصنوعة من فتات الخبز :

– « أنا أعرف واجبي ، تعالوا يا رجال الشرطة ، قيدوني وألقوا بي بين النيران ، ليس من العدل أن يموت هارلكين صديقي العزيز ، بدلاً مني » هذه الكلمات – وقد أُلقيت بصوت بطولي جهوري – جعلت كل العرائس الحاضرين ينخرطون في البكاء . حتى رجال الشرطة رغم أنهم مصنوعين من الخشب ، بكوا كالحملان الرضيعة . ظل آكل النار في البداية صلباً ومتحجراً كالثلج ، ولكن شيئاً فشيئاً بدأ التخلي عن تصلبه وحتى في العطس ؛ فبعد أن عطس أربع أو خمس مرات فتح ذراعيه بحنان وقال لبينوكيو :

– « أنت صبي طيب شجاع ! تعال وأعطني قبلة »

جرى بينوكيو في التو وتسلق كالسنجاب لحية الرجل وقبّل طرف أنفه قبلة حارة .

– « إذن هل تضمن العفو ؟» سأل هارلكين المسكين بصوت خافت يصعب سماعه .

– « صدر العفو » أجاب آكل النار وهو يتنهد ويهز رأسه .

- « لابد وأن يكون لدى صبر ! الليلة يجب أن أجبر نفسى على أكل الشاة نصف مطهية ، ولكن فى وقت آخر الويل لمن يحاول أن يجبرنى على ذلك »

عندما سمعت العرائس خبر العفو عن هارلكين جرت كلها إلى المسرح وأضاءت المصابيح كما لو كان العرض سيكون شاملاً، وبدأت فى الرقص بسعادة . وعند طلوع الفجر كانت العرائس لا تزال ترقص .

الفصل الثانى عشر

مدير العرض ، آكل النار يهدى بينوكيو خمس قطع ذهبية ليأخذها لأبيه چيبتيو فى البيت ، ولكن بينوكيو بدلاً من ذلك يقع فريسة لخداع الثعلب والقطة ، ويذهب معهما

فى اليوم التالى نادى آكل النار على بينوكيو وانتحى به جانبًا وسأله :

- « ما اسم أبيك ؟»

- « چيبتيو »

- « وأى حرفة يعمل بها ؟»

- « إنه شحاذ »

- « هل يكسب كثيراً ؟»

- « بالطبع لا ؟ إنه لم يكن فى جيبه قرش أبداً . هل تتخيل أنه لكى يشترى لى كتاب حروف الهجاء لأذهب للمدرسة كان مضطراً لبيع المعطف الوحيد الذى يرتديه ، وهو معطف ملىء بالبقع والرقع ولا يصلح حتى للنظر إليه »

– « يا للشيطان المسكين ! أكاد أحس بالأسف من أجله ! هاك خمس قطع ذهبيه . اذهب في الحال وأعطهم له مع تحياتي »

شكره بينوكيو آلاف المرات واحتضن عرائس الفرقة واحداً واحداً ، وبقلب مفعم بالفرحة بدأ الرحيل صوب البيت .

لم يكد يبتعد قليلاً حتى قابل فى الطريق ثعلبًا أعرج وقطة عمياء ، كانا يسيران معًا يساعدان بعضهما كرفاق طيبين فى وقت شدة . كان الثعلب الأعرج يسير معتمداً على القطة ، والقطة العمياء يرشدها الثعلب .

– « يوم طيب ، بينوكيو » قال الثعلب مقترباً منه بأدب « أنا أعرف أباك جيداً »

– « أين رأيته ؟»

– « رأيته بالأمس عند باب بيته »

– « وماذا كان يفعل ؟»

– « كان يلبس قميصه فقط ويرتعد من البرد »

– « آه يا أبى المسكين ! ولكن ذلك انتهى ، فلن يرتعد فى المستقبل أبداً »

– « لماذا ؟»

– « لأننى صرت سيداً مهذباً »

– « سيداً مهذباً .. كيف ؟» قالها الثعلب وهو يضحك بسخرية واستهزاء ثم بدأت القطة فى الضحك هى الأخرى ، ولكنها لكى لا تظهر ذلك أخذت فى مسح شواربها بمخلبيها الأماميين .

– « ما الذى يضحككما ؟» صاح بينوكيو بغضب : « لو أنكما انتظرتما لحظات فإننى كنت سأجعل لعابكما يسيل ، ولو شئتما أن تعرفا كيف فبإمكانكما أن تريا معى خمس قطع ذهبية » وأخرج المال الذى أعطاه له آكل النار كهدية .. وهزها فى يده .

عند سماعهما صوت شخللة المال ، مد الثعلب مخلبه بحركة لا إرادية وهو الذى كان يبدو عاجزاً ، وفتحت القطة عينيها باتساع فبدتا كفانوسين أخضرين ثم أغلقتهما ثانية بسرعة ، ولم يلاحظ بينوكيو شيئاً .

– « والآن » سأل الثعلب « ماذا ستفعل بكل هذا المال ؟»

– « قبل كل شىء » أجاب التمثال « أنوى شراء معطف جديد لأبى ، مصنوع من الذهب والفضة وله أزرار من الماس ، ثم أشترى لنفسى كتاباً لحروف الهجاء »

– « لنفسك ؟»

– « نعم ، بالتأكيد ، فأنا أريد الذهاب للمدرسة لكى أدرس بجدية »

– « انظر إلىّ » قال له الثعلب : « لقد فقدت رجلاً نتيجة حماسى الغبىّ للتعلم »

– « انظر إليّ » قالت القطة : « لقد فقدت البصر في كلتا العينين خلال حماسي الغبي للتعلم »

عند تلك اللحظة ، كان طائر من فصيلة الطيور السوداء قد حط على سياج الطريق وهو يغني أغنيته المعتادة وقال : « بينوكيو ، لا تنصت لنصيحة رفاق السوء ؛ فإنك لو فعلت فسوف تندم على ذلك »

أما ما حدث للطائر الأسود المسكين بعد ذلك ، فقد قفزت القطة في قفزة هائلة في لحظة وانقضت عليه ، ودون أن تعطيه وقتًا ليتأوه أكلته في قضمة واحدة بقضه وقضيضه ، وبعد أن أكلته قامت بمسح فمها ، ثم أغلقت عينيها مرة أخرى مدعية العمى كالسابق .

– « مسكين هذا الطائر الأسود » قالها بينوكيو للقطة « لماذا عاملتيه بهذا السوء ؟»

– « لقد فعلت ذلك لأعطيه درسًا . سوف يتعلم ألا يتدخل مرة أخرى في الحوار بين الناس »

كانوا قد قطعوا نصف الطريق عندما توقف الثعلب فجأة وقال لبينوكيو :

– « هل ترغب في مضاعفة ما معك من مال ؟»

– « بأية طريقة ؟»

– « هل ترغب في أن تجعل واحداً من جنيهاتك الخمسة البائسة مائة ، ألف ، ألفين ؟»

– « يسرنى ذلك ، ولكن بأية طريقة ؟»

– « الطريقة سهلة جداً . بدلاً من أن تعود إلى البيت تذهب معنا »

– « إلى أين تريدانى أن أذهب ؟»

– « إلى أرض البوم »

فكر بينوكيو للحظة ثم قال مقرراً : « لا ، لن أذهب . أنا أصبحت قريبًا من البيت وسوف أعود إلى أبى الذى ينتظرنى . من يستطيع معرفة كم تنهد العجوز المسكين بالأمس عندما لم أعد ! لقد كنت ابنًا عاقًا بالتأكيد ، وكان الصرصار المتكلم على حق عندما قال « الصبية غير المطيعين لن يوفقوا فى هذا العالم » لقد دفعت الثمن وحدثت لى مصائب كثيرة . حتى بالأمس فى بيت آكل النار كدت أن أكون حطبًا للشواء .. آه ، إننى أرتعد من مجرد التفكير فى ذلك »

– « حسنًا إذن » قال الثعلب « أأنت مصمم على العودة إلى البيت ؟ اذهب إذن ، وهذا سيكون أسوأ كثيراً بالنسبة لك ؟»

– « هذا سيكون أسوأ كثيراً بالنسبة لك » كررتها القطة .

– « فكر جيداً يا بينوكيو ؛ لأنك تضرب عرض الحائط بالثروة »

– « الثروة » كررتها القطة .

– « بين اليوم والغد قد تصبح الجنيهات الخمسة التى معك ألفين »

– « ألفين » كررتها القطة .

– « ولكن كيف من الممكن أن يصبحوا بهذه الكثرة ؟»

سأل بينوكيو وفمه مفتوح من الدهشة .

– « سوف أشرح لك حالاً » قال الثعلب « عليك أن تعرف أنه في أرض البوم يوجد حقل مقدس يعرفه كل شخص بأنه حقل المعجزات ، في هذا الحقل يجب أن تحفر حفرة صغيرة ، وتضع فيها جنيها ذهبياً ، ثم تغطيها بقليل من التراب . ويجب أن ترويها بجردلين من الماء من النافورة ، ثم ترش عليها حفنتين من الملح ، وعندما يأتى المساء تذهب إلى الفراش . فى تلك الأثناء وخلال الليل ، سوف تنمو القطعة الذهبية وتزهر ، وفى الصباح عندما تستيقظ وتعود إلى الحقل ماذا ستجد ؟ ستجد شجرة جميلة محملة بالجنيهات الذهبية الكثيرة كما يحمل كوز الذرة الحبوب في شهر يونيو »

– « أهذا ممكن » قال بينوكيو ودهشته تزيد وتزيد ، ثم صاح :

– « لنفرض أنني دفنت الجنيهات الذهبية الخمسة فى الحقل ، فكم من المفروض أن أجد فى الصباح التالى ؟»

– « هذه عملية حسابية شديدة البساطة » رد الثعلب : « عملية حسابية يمكنك إجراؤها على أطراف أصابعك . فإذا حسبت أن كل جنيه ذهبي سوف يزيد إلى خمسمائة ، اضرب خمسمائة في خمسة وفي الصباح التالي سوف يكون معك ألفان وخمسمائة قطعه ذهبية لامعة فى جيبك »

– « آه ، ما أجمل ذلك » صاح بينوكيو وهو يرقص من الفرحة « ما إن أحصل على تلك الجنيهات حتى أحتفظ لنفسي بالفين وأهديكما أنتما الاثنين بالخمسمائة الأخرى »

– « هدية لنا » صاح الثعلب وقد بدا عليه الغضب « ما الذى تظنه بنا ؟»

– « ما الذي تظنه بنا » كررت القطة .

– « نحن لا نعمل من أجل فائدة حقيرة . نحن نعمل فقط لإثراء الآخرين » قال الثعلب.

– « الآخرين » كررتها القطة .

– « يا لهم من أناس طيبين » تمتم بينوكيو فى نفسه ناسيًا أباه ، والمعطف الجديد ، وكتاب حروف الهجاء ، وكل قراراته الطيبة ، وقال الثعلب والقطة :

– « فلنغادر فى الحال ، سوف أذهب معكما .»

الفصل الثالث عشر

حانة جراد البحر

ساروا معًا لمسافة طويلة حتى وصلوا أخيرًا – وهم منهكون من التعب – إلى حانة جراد البحر .

– « دعونا نتوقف هنا قليلاً » قال الثعلب ، « حتى نجد شيئًا لنأكله ونريح أنفسنا لساعة أو ساعتين ، ثم نُعاود السير مرة أخرى عند منتصف الليل ، لكى نصل إلى حقل المعجزات عند الفجر »

ما إن دخلوا إلى الحانة حتى جلس الثلاثة إلى منضدة ، ولكن لم يكن لأى منهم شهية قوية للطعام :

فالقطة كانت تعانى من عسر الهضم وتحس بالمرض الشديد ، أكلت فقط خمس وثلاثين سمكة بورى بصلصة الطماطم ، وأربع قطع من الكرشة بالجبن ؛ ولأنها اعتقدت أن الكرشة ليست متبلة جيداً طلبت ثلاث مرات زبداً وجبنًا جافًا .

الثعلب كان مستعداً لأن يأكل القليل هو الآخر ، ولكن كما أمره طبيبه بأن يلتزم فى الأكل ، كان مجبراً على أن يقنع بأرنب متبل

بالصلصة المحلاة ، ومزخرف بالفراخ السمينة والبدارى الصغيرة .
بعد الأرنب أكل عدة أطباق أخرى من العصافير ، والأرانب ، والضفادع ،
والسحالى ، وغيرها من الأطباق اللذيذة ، ولم يستطع أن يأكل أى
شىء آخر .

كان عازفاً عن الأكل لدرجة أنه لم يستطع أن يضع شيئًا آخر
فى فمه !!

أقلهم أكلاً كان بينوكيو . طلب بعض الجوز وقطعة من الخبز
وترك كل شىء فى طبقه . كان الصبى المسكين قد تركزت أفكاره
فى حقل المعجزات ، وبالتالى أصيب بعسر الهضم من كثرة تفكيره
بالقطع الذهبية.

عندما انتهوا من العشاء ، قال الثعلب لصاحب الحانة « أعطنا
غرفتين جيدتين ؛ واحدة السيد بينوكيو ، والأخرى لى ورفيقتى . سوف
نأخذ قسطًا من النوم قبل أن نغادر عند منتصف الليل ، ونريدك أن
توقظنا لنستكمل رحلتنا »

– « بالطبع أيها السادة » أجاب صاحب الحانة غامزاً بعينه للثعلب
والقطة وكأنه يريد أن يقول لهما :

– « أعرف ما تدبرانه فنحن نفهم بعضنا »

ما إن دخل بينوكيو إلى الفراش حتى غلبه النوم فى التو وبدأ يحلم .
وقد حلم أنه كان فى منتصف حقل ، وأن الحقل كان مليئًا بالشجيرات

المغطاة بعناقيد من الجنيهات الذهبية ، وكانت كلما حركتها الرياح تصدر صوتاً « زن ، زن ، زن » كما لو أنها تقول « دع من يشاء يأتى ويأخذنا » ، ولكن عنـــدما كان بينوكيـــو فى أكثر اللحظـــات إثـــارة ، وهى لحظة أن مد يديه ليغترف حفنة من القطع الذهبية الجميلة ويضعها فى جيبـــه ، استيقظ فجـــأة على صـــوت دقات عنيفة على باب غرفته . كان صاحب الحانة قد أتى ليخبره بأن منتصف الليل قد جاء .. وحان وقت الذهاب ..

- « هل رفاقى جاهزون ؟» صاح بينوكيو ..

- « جاهزون ، لقد غادرا منذ ساعتين »

- « لماذا كانا فى هذه العجلة ؟»

- « لأن القطة جاءتها رسالة تقول إن القطيطة الصغرى مريضة بقشف أصابع القدم وفى خطر من الموت »

- « هل دفعا ثمن العشاء ؟»

- « ما الذى تفكر فيه ؟ إنهما متعلمان جيداً ولا يجرؤان على أن يقـــدما على مثـــل هـــذه الإهانه مع سيد مهذب مثلك » .. أنت السيد الكبير هنا .

- « يا للأسف ، إنها إهانة لكنها كانت ستمنحنى سعادة عظيمة » قال بينوكيو وهو يهرش رأسه . ثم سأل :

- وأين قال صديقاى إنهما ينتظرانى ؟»

- « عند حقل المعجزات ، فى فجر الغد »

دفع بينوكيو جنيهًا ذهبيًا لقاء عشائه هو ورفاقه ثم غادر الحانة .

خارج الحانة كان الظلام حالكًا لدرجة أنه كان عليه أن يتحسس طريقه ، كان القليل من طيور الليل تتقافز عبر الطريق من سياج لآخر ، وتحف بأجنحتها أنف بينوكيو أثناء مرورها مما سبب له ذعرًا شديدًا ، وبينما هو يسير رأى حشرة صغيرة تومض فى جذع شجرة مثل ضوء مصباح من الصينى الشفاف .

- « من أنت ؟ » سأل بينوكيو .

- « أنا روح الصرصار المتكلم » أجابت الحشرة فى صوت خفيف وضعيف لدرجة أنه بدا كما لو أنه آت من العالم الآخر .

- « ماذا تريد منى ؟» سأل بينوكيو .

- « أريد أن أعطيك بعض النصائح . عُدْ وخذ الجنيهات الذهبية الأربعة الباقية لوالدك المسكين ، الذى يبكى الآن وفى حالة من اليأس - لأنك لم تعد له »

- « فى الغد سيصبح أبى سيدًا وقورًا ؛ لأن هذه الجنيهات الأربعة سوف تصبح ألفين »

- « لا تثق أيها الصبى بهؤلاء الذين وعدوا بأن يجعلوك غنيًا فى يوم ، فهم : إما مجانين أو محتالين ! استمع لى وعُدّ لأبيك الطيب ..»

- « على العكس ، أنا مصمم على أن أذهب »

- « الوقت متأخر »

- « أنا مصمم على المضى قدمًا »

- « الليل شديد الظلام »

- « أنا مصمم على المضي قدمًا »

- « الطريق خطرة »

- « أنا مصمم على المضى قدمًا »

- « تذكر أن الصبية الذين ينساقون وراء أهوائهم ، ويصرون على مسلكهم ، سوف يندمون عاجلا أو آجلاً »

- « دائمًا القصص نفسها ، عمت مساءً أيها الصرصار »

- « عمت مساءً بينوكيو ، ولتحفظك السماء من الأخطار ومن المخادعين »

وما إن نطق بتلك الكلمات حتى اختفى الصرصار المتكلم فجأة كضوء ينطفئ وصار الطريق أشد ظلامًا من أى وقت آخر »

الفصل الرابع عشر

لأن بينوكيو لم يستمع إلى النصيحة الغالية للصرصار المتكلم : يقع في يد المخادعين

« حقا » قال التمثال لنفسه بعد أن مضى في رحلته مرة أخرى « كم نحن قليلى الحظ نحن الأولاد المساكين . كل فرد ينهرنا ، وكل فرد يحذرنا ، وكل فرد ينصحنا ، وإن ندعهم يتكلمون فسوف يتكلمون كما لو كانوا آباءنا أو أسيادنا .. كلهم حتى الصرصار المتكلم » . ولأننى لم أحسن الإنصات لهذا الصرصار المضجر ، فلا أدرى ما هى المصائب التى سوف تحدث لى ، وهو يحذرنى بأننى سوف أقع بين أيدى المخادعين . ولكن هذا ليس بالأمر المهم ؛ لأننى لا أؤمن بوجود المخادعين ، لم أومن بوجودهم أبداً . أنا أعتقد أن هؤلاء المخادعين مجرد خيال فى عقول الآباء اخترعوهم بقصد إخافة الأولاد الذين يريدون الخروج من البيت ليلاً . وحتى إذا حدث وقابلتهم هنا فى الطريق ، هل سيخيفوننى ؟ أبداً ، سوف أذهب للقائهم قائلاً « أيها السادة المخادعون ، ماذا تريدون منى ؟ تذكروا أن معى لا يجدى العبث . وبالتالى اهتموا بشئونكم واهدءوا . هذا الخطاب عندما يقال بنبرة واثقة فإن المخادعين المساكين سوف يجرون بعيداً كالريح، أما إذا كانوا

من سوء الخلق بحيث لا يجرون بعيداً ، فسوف أجرى أنا بعيداً ؛ وهذا يضع نهاية للأمر كله » .

لم يكن لدى بنيوكيو الوقت لينتهي من تفكيره ؛ لأنه في تلك اللحظة ظن أنه سمع حفيفًا للأوراق من خلفه . التفت لينظر فرأى في الضوء الخافت هيئتين سوداوين لشخصين شريرى المنظر ملفوفين بالكامل فى أكياس فحم . كانا يتبعانه على أطراف أصابعهما ويقفزان قفزات واسعة كأنهما شبحان .

قال لنفسه « هاهم الآن واقعيًا » ودون أن يعرف أين يخبئ القطع الذهبية ، وضعهم فى فمه تحت لسانه تمامًا .

حاول بينوكيو الهرب ، لكنه لم يكد يخطو خطوة حتى أحس بذراعه وقد أمسك بها أحدهما ، وسمع صوتين مخيفين يقولان له : « هات ما معك من نقود وإلا فقدت حياتك »

ولأن بينوكيو لم يكن باستطاعته الكلام ؛ حيث إن المال كان فى فمه – قام بعمل ألف انحناءة وألف إشارة صامتة . كان يحاول بها أن يجعل الهيئتين المخيفتين اللتين كانت أعينهما فقط هى التى تظهر من ثقبين فى الأكياس التى يلبسانها ؛ تفهمان أنه تمثال مسكين وأنه لا يملك أية نقود فى جيبه .

– « الآن هيا ، لا داعى للثرثرة وأخرج النقود » صاح الشبحان معًا مهددان .

صنع التمثال إشارة بيديه تفيد بأنه « لا يملك أية نقود »

- « أخرج ما معك من مال وإلا فأنت ميت » صاح أطول الشبحين .

- « ميت » كررها الآخر .

« وبعد أن نقتلك سوف نقتل أباك أيضًا »

- « سوف نقتل أباك » كررها الآخر أيضًا .

- « لا ، لا ، لا ، ليس أبى المسكين » صاح بينوكيو فى صوت يائس ، وبينما هو يقول ذلك ، شخشخت الجنيهات فى فمه .

- « آه ، أيها الوغد : إذن أنت أخبأتها تحت لسانك أخرجها الآن فى الحال »

ولكن بينوكيو ظل على ما هو عليه .

- « آه ، أنت تدعى أنك أصمّ أليس كذلك ؟ انتظر لحظة ، اترك لنا نتدبر وسيلة لجعلك تخرجها من فمك فى الحال »

أمسك أحدهما بالتمثال من طرف أنفه وأمسكه الآخر من ذقنه وبدأ يعضانه بوحشية ، الأول لأعلى والآخر لأسفل ليدفعاه ليفتح فمه ، ولكن لم يفلح ذلك معه . كان فم بينوكيو مغلقًا ومنطبقًا تمامًا .

عند ذلك أخرج أقصر الاثنين سكينًا وحاول إدخال نصله بالقوة بين شفتى بينوكيو ليفتح فمه ، ولكن بينوكيو أمسك بيده بين أسنانه وعضه عضة قوية ثم بصق ، ولشدة دهشته وجد أن ما بصقه كان مخلب قط ملقى على الأرض أمامه بدلا من أن يكون يدًا .

و بعد هذا النصر الأول استخدم أظافره في تخليص نفسه من قبضة الممسكين به ، وقفز أعلى السياج بجانب الطريق وانطلق يجرى كالريح عبر الحقول . جرى المخادعان وراءه ككلبين يطاردان أرنبًا بريا ، وكان الذى فقد المخلب منهما يجرى على ساق واحدة ولا يعرف كيف يحفظ توازنه .

بعد سباق استمر لعدة أميال ، كان بينوكيو يلهث ولا يستطيع الجرى لأية مسافة أخرى . ومستسلمًا لفكرة أنه هالك – لا محالة – تسلق ساق شجرة صنوبر عالية جداً وجلس على الأفرع الموجودة فى قمة الشجرة . حاول المخادعان التسلق خلفه ، ولكنهما كانا كلما وصلا إلى منتصف الشجرة انزلقا إلى أسفل بسرعة واصطدما بالأرض وقد تسلخ الجلد من أيديهما وقدميهما .

ولكنهما لم يكونا ليستسلما بسهولة هكذا ، فأخذا يجمعان كمية من الخشب الجاف ويكومانها تحت شجرة الصنوبر ثم أشعلا فيها النار ، وفى لحظات بدأت الشجرة فى الاشتعال وتطايرت النيران منها كشمعة فى مهب الريح . عندما رأى بينوكيو أن ألسنة اللهب كانت ترتفع لأعلى كل لحظة ، ولعدم رغبته فى إنهاء حياته كحمامة مشوية ، قفز قفزة هائلة من قمة الشجرة وبدأ العدو مرة أخرى عبر الحقول وكروم العنب . لكن المخادعين لم يتركاه وظلا ورائه دون أن يستسلما ولو للحظة .

بدأ الفجر فى الطلوع وكانا لا يزالان يطاردانه . وفجأة ، وجد بينوكيو أن طريقه يعترضه خندق عميق متسع وملىء بالماء الآسن الذى كان بلون القهوة . صاح بينوكيو « واحد ، اثنين ، ثلاثة !» واندفع قافزاً

إلى الجانب الآخر . قفز المخادعان أيضًا ، ولكن لأنهما لم يحسنا تقدير المسافة ، سقطا في منتصف الخندق . عندما سمع بينوكيو صوت طرطشة الماء الناتج عن سقوطهما ، صاح ضاحكًا دون أن يتوقف :

- « حمّام ظريف لكما ، أيها السادة المخادعون »

وظانًا بأنهما قد غرقا ، التفت ناظرًا إليهما ، ولكن على العكس وجدهما يجريان خلفه ، متخفين بالكيسين والماء يتساقط منهما .

الفصل الخامس عشر

المخادعان يطاردان بينوكيو وبعد أن يتغلبا عليه يشنقانه على فرع شجرة البلوط الكبيرة

عند رؤيته لهما ، خانته شجاعته ، وكان على وشك أن يلقي بنفسه على الأرض ويستسلم لمصيره . جال ببصره فى كل اتجاه ، فرأى على بعد قريب منزلاً صغيراً كالثلج بين الأشجار داكنة الخضرة .

- « لو كانت لدى القوة لأصل إلى هذا البيت ربما نجوت »

ودونما تأخير ولو للحظة ، عاد للجرى مرة أخرى عبر الغابة ، والمخادعان خلفه .

أخيراً ، وبعد مشوار مهلك لساعتين تقريباً ، وصل وهو يلهث ولا يستطيع التنفس إلى البيت وقام بالدق على الباب ، لم يجب أحد . قام بالدق مرة أخرى بعنف شديد ؛ لأنه أحس بصوت خطوات تقترب منه ، وصوت الأنفاس الثقيلة لمطارديه . لكن لا مجيب . ولما أدرك أن طرق الباب غير ذى جدوى بدأ يركل الباب بقدمه بكل قوته . انفتحت النافذة وظهرت طفلة جميلة تطل منها - كان لها شعر أزرق ووجه أبيض كأنه مصنوع من الشمع ، كانت عيناها مقفولتين وذراعاها مضمومتين

على صدرها . وبدون أن تحرك شفتيها على الإطلاق ، قالت بصوت كأنه آت من العالم الآخر :

- « لا يوجد أحد بهذا المنزل . الجميع ماتوا »

- « على الأقل افتحي لي الباب لأدخل » صاح بينوكيو وهو يتوسل لها ويبكي .

- « أنا أيضاً ميتة »

- « إذا كنت ميتة فما الذي تفعلينه إذن عند الشباك ؟ »

- « أنا أنتظر النعش ليأخذني »

وما إن قالت ذلك حتى اختفت سريعاً وانغلقت النافذة مرة أخرى دون أن يصدر عنها صوت .

- « آه ، أيتها الطفلة الجميلة ذات الشعر الأزرق » صاح بينوكيو « افتحي الباب شفقة بي . ارحمي صبي مسكين يطارده المخادعون ... » ولكنه لم يستطع استكمال الكلمة - لأنه كان ممسوكًا من رقبته والصوتان المخيفان يقولان له متوعدين :

- « لن تهرب منا مرة أخرى »

كان التمثال يرى الموت يحدق في وجهه ، فأخذ يرتعد بشدة لدرجة انخلعت معها مفاصله الخشبية ، وشخشخت الجنيهات الذهبية المخبأة تحت لسانه .

- « والآن هل ستفتح فمك ؟ نعم أو لا ؟ آه ، ألا تجيب ؟ ... دع ذلك لنا : هذه المرة سوف نجبرك على فتح فمك .» وسحبا سكينتين مخيفتين فى حدة الموسى وحاولا طعنه مرتين ، ولكن التمثال المحظوظ كان مصنوعًا من خشب صلب جداً مما جعل السكينتان تتكسران ، ولم يبق فى أيدى المخادعين سوى المقابض ، وراحا ينظران لبعضهما فى دهشة بالغة .

- « أعرف ما يجب علينا عمله » قال واحد منهما للآخر .

- « لا بد من شنقه ، فلنشنقه »

- « فلنشنقه » ردد الآخر .

ودون أن يضيعا وقتًا قيدا ذراعيه خلفه ومررا أنشوطه حول رقبته وقاما بشنقه على فرع شجرة بلوط كبيرة . بعد ذلك جلسا على العشب ينتظران أن تخمد أنفاسه . ولكن بعد انتظار ثلاث ساعات ، كانت عينى التمثال لا تزالان مفتوحتين ، وفمه مغلق ، ويثير الجلبة أكثر من أى وقت أخر .

ولأنهما لم يعودا قادرين على الصبر ، التفتا إلى بينوكيو وقالا فى صوت ساخر :

- « إلى اللقاء غداً ، دعنا نأمل إننا عندما نعود سوف تكون قد مُت وشبعت موتًا ، ويكون فمك مفتوحًا على أخره » وتركاه ومضيا .

فى الوقت نفسه هبت عاصفة قوية من الريح الشمالية وأخذت تضرب التمثال المسكين وهو معلق فى الشجرة من جانب لآخر وتجعله

يتأرجح بعنف كمطرقة جرس يدق فى حفل زفاف . سبب التأرجح له تقلصات مؤلمة ، وأدت الأنشوطة التى أصبحت شديدة الإحكام حول رقبته إلى فقدانه القدرة على التنفس .

وشيئًا فشيئًا أخذت عيناه فى فقدان الرؤية الواضحة ، ولكن رغم إحساسه بقرب الموت لم يفقد الأمل فى أن يأتى أحد المحسنين إلى معاونته قبل فوات الأوان . وبعد أن انتظر وانتظر ولم يأت أحد - أى أحد - تذكر والده المسكين ، ومعتقداً أنه سيموت لا محالة قال « أبى ، أبى ، آه لو كنت هنا » ثم خانه تنفسه ولم يستطع أن يقول أى شىء آخر . فأغمض عينيه ، وفتح فمه ، ومدد ساقيه ، وارتعد، وأصبح غير مدرك لشىء .

الفصل السادس عشر

الطفلة الجميلة ذات الشعر الأزرق تقوم بإنزال التمثال ، وتضعه فى الفراش ، وتحضر ثلاثة أطباء لتعرف إن كان لا يزال حيًا أو أنه قد مات

بينما بينوكيو المسكين معلق فى فرع الشجرة البلوط الكبيرة ويبدو ميتًا أكثر منه حيا ، جاءت الطفلة الجميلة ذات الشعر الأزرق مرة أخرى إلى النافذة . وعندما رأت التمثال التعيس معلق من رقبته ويتأرجح أعلى وأسفل فى هبات الريح الشمالية ، تحركت فيها نوازع العطف ، وصفقت بيديها ثلاث تصفيقات صغيرة ، عند هذه الإشارة سمع صوت أجنحة ترفرف بسرعة وظهر صقر كبير ، ما إن وصل إلى حافة النافذة وحط عليها حتى قال بأدب جم :

– « ما هى أوامرك ، أيتها الجنية الكريمة ؟ » قال الصقر وهو ينحنى بمنقاره علامة على الاحترام ؛ حيث إن الطفلة ذات الشعر الأزرق لم تكن إلا جنيّة جميلة ، عاشت لألف عام فى الغابة .

– « هل ترى هذا التمثال المتدلى من فرع شجرة البلوط »

– « نعم أراه »

– « حسن جداً ، طر إليه في الحال واقطع بمنقارك القوى الحبل الذى يجعله معلقًا فى الهواء ، وضعه برفق على العشب تحت الشجرة »

طار الصقر بعيداً وعاد بعد دقيقتين قائلاً :

– « لقد فعلت ما أمرتنى به »

– « وكيف وجدته »

– « عندما نظرت إليه كان يبدو ميتًا ، ولكن لا يمكن حقيقة أن يكون قد مات ؛ لأنني ما إن فككت العقدة عن رقبته حتى تنهد وقال فى صوت ضعيف « الآن أحس أنني أحسن حالاً » صفقت الجنية مرتين ، فظهر كلب ضخم يسير منتصبًا على قدميه الخلفيتين كما لو كان إنسانًا . كان يرتدى ملابس سائق عربة وعلى رأسه قلنسوة ثلاثية الأطراف موشاة بالذهب ، وباروكته المجعدة تتدلى على كتفيه ، وحزام وسطه فى لون الشيكولاته وبأزرار من الذهب ، وبه جيبين كبيرين يحتويان على العظام التى منحتها سيدته له للغذاء . إلى جانب ذلك كان يلبس زوجًا من السراويل المخملية الحمراء ، وجواربًا حريرية ، وحذاءً قصيراً ويتدلى خلفه كيس من الحرير الأزرق ليضع نيله فيه عندما يكون الجو ممطراً .

– « أسرع يا ميدورو » قالت الجنيه للكلب خذ أجمل عرباتى من الحظيرة ، واسلك الطريق إلى الغابة ، وعندما تصل إلى شجرة البلوط الكبيرة ستجد تمثالاً مسكينًا ممدداً على العشب ويعانى سكرات الموت ، برقة ضعه ممدداً على وسائد العربة وأحضره إلى هنا . هل فهمت ؟ »

– ولكى يظهر الكلب أنه فهم ، هز كيس ذيله المصنوع من الحرير الأزرق ثلاث مرات ، وجرى بسرعة إلى حظيرة العربات . بعد قليل ظهرت عربة جميلة صغيرة خارجة من الحظيرة . كانت الوسائد محشوة بريش العصافير ، والعربة ممتلئة بالكريم المخفوق والكسترد والبسكويت ، ويجرها مائة زوج من الفئران البيضاء وقد جلس الكلب على صندوق العربة وهو يطرقع بسوطه من جانب لآخر كسائق يخشى أن يتأخر عن موعده .

لم تكد تمر ربع الساعة حتى عادت العربة . أخذت الجنية التى كانت تنتظر عند باب المنزل التمثال المسكين بين ذراعيها وحملته إلى غرفة صغيرة تكسو جدرانها اللآلئ ، وأرسلت فى التو لإحضار أكثر الأطباء شهرة فى الجوار . أتى الأطباء فى الحال واحداً إثر الآخر وكانوا غراباً وبومة وصرصاراً يتكلم .

– « أريد أن أعرف منكم أيها السادة » سألت الجنية ملتفتة إلى الأطباء الثلاثة الذين تجمعوا حول فراش بينوكيو « أريد أن أعرف منكم أيها السادة ما إذا كان هذا التمثال سيئ الحظ حياً أو ميتاً ! »

لم تكد تفرغ من كلامها حتى تقدم الغراب أولاً وتحسس نبض بينوكيو ، ثم تحسس أنفه ، ثم إصبع قدمه الصغير وبعد ذلك قال بتؤدة ورصانة :

– « فى اعتقادى أن التمثال قد مات ، ولكن إذا كان لسوء الحظ لم يمت ، فربما كان ذلك إشارة على أنه لا يزال حياً »

أما البومة فقالت « إنني آسفة لاضطراري لمعارضة الغراب ، صديقي الشهير وزميلي في المهنة ، ولكن في رأيي أن التمثال لا يزال حياً ، ولكن إذا كان لسوء الحظ ليس حياً فإن ذلك إشارة إلى أنه ميت بالفعل »

- « وأنت ، أليس لديك ما تقول ؟» سألت الجنية الصرصار .

- « في رأيي فإن أفضل ما يمكن للطبيب الحاذق أن يفعل عندما لا يعرف ما يتحدث عنه ، هو أن يظل صامتًا بالنسبة للباقي ، ومع ذلك فإن لهذا التمثال وجهاً مألوفا لي ، فأنا أعرفه منذ مدة » .

أما بينوكيو ، الذي كان راقداً بلا حراك مثل قطعة الخشب فقد ارتعش رعشة هائلة كانت تهز الفراش بكامله .

- « هذا التمثال محتال خبيث » استطرد الصرصار مكملاً حديثه .

عندئذ فتح بينوكيو عينيه وأقفلهما مرة أخرى على الفور .

- « إنه صعلوك ، وعاطل ، وجربوع » .. قال الصرصار مزمجراً ..

ساعتها أخفى بينوكيو وجهه تحت أغطية الفراش .

- « هذا التمثال ابن عاق سيؤدي بأبيه المسكين إلى الموت حزنًا عليه »

في هذه اللحظة ، سمع صوت نحيب وبكاء الغرفة ، نظر الجميع إلى بعضهم في دهشة ، وعندما رفعوا الغطاء قليلاً اكتشفوا أن الصوت هو صوت بينوكيو .

- « عندما يبكى الميت ، فإن هذه علامة على أنه فى طريقه للشفاء » قال الغراب برصانة .

- « إننى آسف لمعارضة صديقى الشهير وزميلى » قالت البومة « ولكن بالنسبة لى ، عندما يبكى الميت ، فإن تلك علامة على أنه يأسف لموته »

الفصل السابع عشر

بينوكيو يأكل السكر ويرفض أخذ الدواء ، ولكن عندما يرى حفارى القبور الذين وصلوا لحمله بعيداً يأخذ الدواء ، وينطق بكذبة وكعقاب له تطول أنفه

ما إن غادر الأطباء الثلاثة الغرفة ، حتى اقتربت الجنية من بينوكيو وبعد أن لمست جبهته أدركت أنه فى حالة حمى حادة لا يجب التهاون معها .

قامت على الفور بإذابة مسحوق أبيض فى نصف كوب من الماء ، وقدمته للتمثال وقالت له بحب :

– « اشرب هذا ، وفى أيام قلائل سوف تشفى »

نظر بينوكيو إلى الكوب ، وأظهر امتعاضه وسأل بصوت خافت :

– « هل هو حلو أو مر ؟»

– « إنه مر ، ولكنه سيفيدك »

– « إذا كان مراً فلن أشربه »

– « أنصت إلىّ ، اشربه »

- « أنا لا أحب أى شيء مر »

- « اشربه ، وعندما تنتهى من شربه سوف أعطيك قطعة من السكر لتذهب بالمذاق المر »

- « أين قطعة السكر هذه ؟»

- « ها هى » قالت الجنية وهى تخرج قطعة سكر من سكرية من الذهب .

- « أعطنى قطعة السكر أولاً ، وسأشرب بعدها هذا الماء المرّ الردئ »

- « هل تعدنى ؟»

- « نعم »

أعطته الجنية قطعة السكر ، وقام بينوكيو بقرقشتها وبلعها فى ثانية واحدة وقال وهو يلعق شفتيه :

- « سيكون بديعاً لو أن السكر كان دواءً . كنت سآخذه كل يوم »

- « الآن عليك الوفاء بالوعد وتشرب هذه القطرات القليلة من الماء التى ستعيد إليك الصحة »

أخذ بينوكيو الكوب فى يديه مرغماً ووضع طرف أنفه بالقرب منه ، ثم قرّبه من شفتيه ، ثم وضع طرف أنفه ثانية بالقرب منه وقال أخيراً :

- « إنه شديد المرارة ، شديد المرارة . لا أستطيع أن أشربه »

– « كيف تقول ذلك وأنت لم تذقه ؟ »

– « يمكنني تخيل ذلك . أعرف ذلك من رائحته . أريد قطعة من السكر أولاً ... ثم سأشربه »

وضعت الجنية قطعة أخرى من السكر في فمه ، وقدمت له الكوب مرة أخرى .

– « لا يمكنني شربه » قال التمثال مقطِّبًا جبينه .

– « لماذا ؟ »

– « لأن الوسادة التي هي بأسفل عند قدمي تضايقني » قامت الجنية بإبعاد الوسادة .

– « لا فائدة . حتى مع ذلك ، لا أستطيع شربه »

– « ما الأمر الآن ؟ »

– « باب الغرفة ، النصف مفتوح ، يضايقني »

ذهبت الجنية وأغلقت الباب .

– « باختصار » صاح بينوكيو منفجراً في البكاء « لن أشرب هذا الماء المرّ .. لا ، لا ، لا »

– « يا ولدي ، سوف تندم على ذلك »

– « لا يهمني »

- « إن مرضك خطير »

« إن الحمى سوف تأخذك فى ساعات قليلة إلى العالم الآخر »

- « لا يهمنى »

- « ألا تخاف الموت ؟ »

- « أنا لست خائفًا بأية درجة ، وإنى لأفضل الموت عن أن أشرب هذا الدواء المرّ »

عند هذه اللحظة ، انفتح باب الغرفة ودخل أربعة أرانب سوداء كالفحم يحملون على أكتافهم نعشًا صغيراً .

- « ما الذى تريدونه منى ؟» صاح بينوكيو وهو يجلس فى الفراش فى رعب شديد .

- « لقد أتينا لنأخذك » قال أكبر الأرانب .

- « لتأخذونى ... ولكنى لم أمت بعد »

- « لا ، ليس بعد ، أمامك دقائق قليلة لتعيشها ؛ لأنك رفضت الدواء الذى كان سيشفيك من الحمى »

- « آه ، أيتها الجنية ، أيتها الجنية » بدأ التمثال فى الصراخ .

- « أعطينى ذلك الكوب حالاً .. أسرعى شفقة بى ، لا أريد أن أموت ، لا أريد أن أموت »

وأخذ منها الكوب ثم قام بإفراغه بسرعة فى جوفه جرعة واحدة .

- « لابد وأن نصبر » قالت الأرانب « هذه المرة كانت رحلتنا عديمة الجدوى » . وأخذوا النعش الصغير مرة أخرى على أكتافهم وغادروا الغرفة وهم يتمتمون بعبارات الغضب من تحت أسنانهم .

بعد دقائق قليلة ، قفز بينوكيو من الفراش وقد شفى تماماً ؛ لأن هذا التمثال الخشبى كانت له ميزة أنه نادراً ما يمرض وأنه يشفى بسرعة .

عندما رأته الجنية يجرى حول الغرفة مرحاً كالديك الصغير قالت له :

- « إذن لقد أفادك دوائى جداً »

- « أعتقد ذلك . لقد أعادنى إلى الحياة »

- « إذن لماذا تطلَّب الأمر كل هذا الإقناع لكى تشرب الدواء »

- « لأننا كصبية - كلنا كذلك - نخاف من الدواء أكثر من خوفنا من المرض »

- « شيء مهين ! يجب أن يعرف الأولاد أن الدواء الذى يؤخذ فى وقته سيحميهم من اشتداد المرض وربما من الموت »

- « آه ، ولكن فى وقت آخر لن يتطلب الأمر معى كل هذا الإقناع . فلسوف أتذكر الأرانب السوداء والنعش على أكتافهم ، فآخذ عندئذ الكوب بسرعة فى يدى ثم أشربه »

- « الآن تقدم نحوى ، وأخبرنى كيف حدث أن سقطت فى أيدى أولئك المخادعين »

- « حدث أن مدير العرض آكل النار أعطانى بعض القطع الذهبية وقال لى :

« اذهب وخذها لأبيك » وبدلاً من ذلك قابلت فى الطريق ثعلبًا وقطة - أى شخصين شديدى الاحترام - اللذين قالا لى : « هل ترغب فى أن تصبح هذه القطع الذهبية ألفًا أو ألفين ، تعال معنا وسوف نأخذك إلى حقل المعجزات » وقلت « دعونا نذهب » . قالا « فلنتوقف عند حانة جراد البحر لنستريح قليلاً . وقبل منتصف الليل غادرا الحانة وعندما استيقظت وجدت أنهما قد رحلا ، وبدأت الرحلة وحدى ليلاً ، ولا يمكنك تصور كيف كان الظلام حالكًا ، ثم قابلت اثنين من المخادعين يلبسان جوالين للفحم وقالا لى : « أخرج ما معك من نقود » وقلت لهما « ليس معى أية نقود » لأنى خبأت القطع الذهبية الأربع فى فمى ، وحاول أحد المخادعين أن يضع يده فى فمى فقضمتها وبصقتها وبدلاً من أن أجد يدًا وجدت أننى بصقت مخلب قطة . وطاردنى المخادعان إلى أن أمسكا بى فى النهاية وربطانى من رقبتى فى شجرة بهذه الغابة وقالا لى « فى الغد سوف نعود ، وسوف تكون قد مت وفمك مفتوحًا وسيكون بمقدورنا أخذ القطع الذهبية التى خبأتها تحت لسانك »

- « والقطع الذهبية الأربع .. أين وضعتها ؟ » سألت الجنية

- « ضاعت منى ! » كان بينوكيو يكذب لأن النقود كانت فى جيبه .

وما كاد ينطق بالكذبة حتى طالت أنفه بمقدار إصبعين .

- « وأين ضاعت منك ؟»

- « فى الغابة بالقرب من هنا »

وعند الكذبة الثانية ظلت أنفه تطول .

- « إذا كنت قد فقدتها فى الغابة القريبة من هنا ؛ فسوف نبحث عنها ونجدها ؛ لأن كل ما يفقد فى الغابة دائمًا ما نجده »

- « آه ! الآن تذكرت كل شىء » أجاب التمثال وقد ارتبك بشدة « أنا لم أفقد القطع الذهبية الأربع، لقد بلعتها عرضًا عندما كنت أشرب الدواء »

وعند هذه الكذبة الثالثة طالت أنفه إلى مدى غير عادى لدرجة أن بينوكيو المسكين لم يكن يستطيع الحركة فى أى اتجاه ، كان إذا استدار يمينًا اصطدمت أنفه فى الفراش أو شيش النافذة ، وإذا استدار إلى اليسار اصطدمت أنفه فى الجدار أو الباب ، وإذا رفع رأسه قليلاً يكاد أن يصيب إحدى عينى الجنية . نظرت الجنية إليه وضحكت .

- « ما الذى يضحكك ؟ » سألها التمثال مغتاظًا بشدة .

- « أنا أضحك على الكذبة التى قلتها »

- « وكيف يمكن أن تعرفى أننى قد قلت كذبة »

– « الكذب أيهـا الصـبى العـزيز ينكشف فى الحـال ؛ لأنه من طرازين : فهناك الكذب الذى له سيقان قصيرة ، والكذب الذى له أنوف طويلة . وكذبتك – كما حدث – هى من النوع طويل الأنف »

بينوكيـو – الذى لم يعرف كيف يدارى خجله – حاول الفرار من الغرف ، ولكنه لم ينجح ؛ لأن أنفه طالت إلى الدرجـة التى لم يستطع معها المرور من الباب .

الفصل الثامن عشر

بينوكيو يقابل الثعلب والقطة مرة أخرى ويذهب معهما ليدفن نقوده فى حقل المعجزات

تركت الجنيّة التمثال يبكي ويزأر لنصف ساعة على أنفه التى لا تستطيع الخروج من باب الغرفة . كان هذا درسًا قاسيًا له ، لتقويمه من الخطأ المهين بقوله الكذب ، ولكنها عندما رأته قد تشوه وتورمت عيناه فى وجهه من شدة البكاء ، أحست تجاهه بالشفقة ، وصفقت بيديها وعند هذه الإشارة جاءت الآلاف من طيور ناقرْ الخشب إلى النافذة ، وفى الحال حطت على أنف بينوكيو وبدأت فى نقرها بحماس لدرجة أنه فى دقائق قليلة صغرت أنفه الضخمة وعادت إلى حجمها الطبيعى .

– « أنتِ جنيّة طيبة جداً » قال التمثال وهو يمسح عينه « كم أنا أحبك »

– « وأنا أحبك أيضًا » أجابت الجنيّة « ولو ظللت معى ، سوف تكون أخى الصغير ، وسوف أكون أختك الصغيرة » .

– « سوف أبقى بكل رضا .. ولكن أبى المسكين ؟»

– « لقد فكرت فى كل شىء . لقد جعلت والدك يعرف بالفعل ، وسوف يكون هنا هذه الليلة »

– « حقًا ؟» صاح بينوكيو قافزًا من الفرحة « إذن ، أيتها الجنية الصغيرة ، لو توافقين ، سوف أذهب للقائه . أنا شديد الشوق لتقبيل هذا العجوز المسكين ، الذى عانى الكثير بسببى ، وأنا أعد الدقائق لذلك »

– « اذهب إذن ، ولكن خذ حذرك لكيلا تتوه . خذ الطريق عبر الغابة ، وأنا واثقة من أنك ستقابله »

خرج بينوكيو ، وما إن أصبح فى الغابة حتى أخذ فى الركض كالجدى ، ولكنه عندما وصل إلى بقعة معينة ، كانت تقريبا أمام شجرة البلوط الكبيرة وقف ؛ لأنه تصور أنه سمع صوت أناس حول الغابة . فى الحقيقة كان هناك شخصان هما الثعلب والقطة ، اللذان تعشى معهما فى حانة جراد البحر .

– « ما هذا ، صديقنا العزيز بينوكيو !» صاح الثعلب ، وهو يحتضنه « كيف حدث أن جئت إلى هنا ؟»

– « كيف حدث أن جئت إلى هنا » كررت القطة .

– « إنها قصة طويلة » أجاب التمثال : « وسوف أقصها عليكما عندما يكون لدى الوقت . ولكن هل تعرفان أنه فى الليلة الماضية عندما تركتمانى وحدى فى الحانة ، تقابلت مع المخادعين فى الطريق »

– « المخادعون .... آه ، مسكين بينوكيو وماذا كانا يريدان ؟»

– « كانا يريدان سرقة نقودى الذهبية »

– « الأشرار !» قال الثعلب .

– « الأشرار الأوغاد » كررت القطة .

– « ولكنى هربت منهما » لكنهما لم يتركانى وطاردانى ، وفى النهاية تغلبا علىّ وشنقانى فى فرع شجرة البلوط » وأشار بينوكيو إلى شجرة البلوط الكبيرة التى كانت تبعد عنهما خطوتين .

– « هل من الممكن أن يكون هناك شىء أكثر من ذلك رعبًا ؟ » قال الثعلب متعجباً :

« فى أى عالم محكوم علينا أن نعيش ؟ أين يمكن لأناس محترمين مثلنا أن يجدوا ملاذًا آمنًا ؟»

وبينما هما يتحدثان لاحظ بينوكيو أن القطة كانت تعرج بساقها الأمامية ؛ حيث إنها فقدت مخلبها ، فسألها :

– « ماذا فعلت بمخلبك ؟»

حاولت القطة الإجابة ولكنها اضطربت ، فقال الثعلب فى الحال :

– « إن صديقتى شديدة التواضع ؛ لهذا لا تتكلم . سوف أجيب عنها . يجب أن أقول لك إنه من ساعة مضت قابلنا ذئبًا عجوزًا فى الطريق يكاد يموت من الجوع وسألنا إحسانًا . ولأنه لم يكن معنا حتى

عظام سمكة لنعطيها له ، فماذا فعلت صديقتى التى لها قلب رهيف ؟ لقد قضمت إحدى مخلبيها الأماميين وقذفت بها إلى هذا الوحش المسكين لكى تحد من جوعه » وبينما كان يقول ذلك غلبه البكاء وراح يجفف دموعه . كان بينوكيو قد تأثر بذلك ، وتقدم نحو القطة هامساً فى أذنها :

– « لو كانت كل القطط مثلك ، فكم ستكون الفئران محظوظة »

– « والآن ، ماذا تفعل هنا ؟ » سأله الثعلب .

– « أنا أنتظر أبى ، الذى أتوقع وصوله فى أية لحظة »

– « وقطعك الذهبية ؟»

– « إنها فى جيبى كلها ، ما عدا القطعة التى أنفقتها فى حانة جراد البحر »

– « فكر فى أنه بدلاً من أن تظل أربع قطع ، قد تصبح غداً ألفًا أو ألفين . لماذا لا تسمع نصيحتى ؟ لماذا لا تذهب وتدفن القطع فى حقل المعجزات ؟»

– « من المستحيل أن أذهب اليوم ، سوف أذهب فى يوم آخر »

– « إذا ذهبت فى يوم آخر قد يكون الأوان قد فات » قال الثعلب .

– « لماذا ؟»

– « لأن سيداً قد اشترى الحقل ، وبعد الغد لن يسمح لأحد بدفن نقوده فيه »

– « كم يبعد حقل المعجزات من هنا »

– « ليس أكثر من ميلين ، هل تأتى معنا ؟ فى نصف ساعة سوف تكون هناك . يمكنك دفن النقود فى الحال ، وفى دقائق قليلة سوف تجمع ألفين ، وفى المساء سوف تعود بجيوبك مليئة . هل تأتى معنا ؟»

فكر بينوكيو فى الجنيّة الطيبة وچيبتيو العجوز وتحذيرات الصرصار المتكلم وتردد قليلاً قبل الإجابة . انتهى الأمر به على كل حال بفعل ما يفعله كل الصبية الذين ليس لديهم ذرة من عقل ، وذلك بأن هز رأسه قليلاً قائلاً للثعلب والقطة :

– « دعونا نذهب : سوف أذهب معكما » وذهبوا معًا ، وبعد أن ساروا نصف اليوم وصلوا إلى مدينة تسمى « مصيدة الأغبياء » وما إن دخل بينوكيو المدينة حتى رأى أن الشوارع تعج بالكلاب الذين فقدوا شعر جلودهم ويتثائبون من الجوع ، والخراف المجزوزة التى ترتعد من البرد ، والديوك التى بلا أعراف ، والتى تتسول من أجل حبة ذرة ، والفراشات الضخمة التى لا تستطيع الطيران لأنها باعت أجنحتها الجميلة الملونة ، والطواويس التى بلا ذيل ، والتى تخجل من أنْ يراها أحد ، والطيور البرية التى تنقر هنا وهناك بمنتهى الخجل وهى تتحسر على ريشها الذهبى والفضى الذى ذهب إلى غير رجعة .

وفى وسط هذا الزحام من الشحاذين والمخلوقات ذات الوجوه المحزونة ، كانت تمر عربة فخمة من وقت لآخر وبها ثعلب أو طائر عقعق أو غيره من الطيور المفترسة .

– « وأين حقل المعجزات ؟ » سأل بينوكيو .

– « إنه هنا لا يبعد أكثر من خطوتين »

عبر الثلاثة المدينة ، وما إن أصبحوا وراء جدرانها حتى كانوا على مقربة من حقل معزول يشبه كل الحقول الأخرى .

– « لقد وصلنا » قال الثعلب للتمثال « عليك أن تنحنى لأسفل الآن وتحفر بيديك حفرة صغيرة فى الأرض وتضع قطعك الذهبية فيها » أطاع بينوكيو الثعلب ، فحفر حفرة ووضع فيها القطع الذهبية الأربع التى بقيت معه وأهال على الحفرة القليل من التراب .

– « الآن » قال الثعلب « اذهب إلى تلك القناة القريبة من هنا وابحث عن إناء ماء فاملأه وقم برى الأرض فى المكان الذى زرعت فيه النقود »

ذهب بينوكيو إلى القناة ولأنه لم يكن معه إناءً ليملؤه ، خلع فردة من حذائه وملأها بالماء وسقى الأرض فوق الحفرة . ثم سأل الثعلب :

– « هل هناك أى شيء آخر أعمله ؟»

– « لا شيء آخر » أجاب الثعلب « يمكننا الآن الرحيل . تستطيع العودة بعد عشرين دقيقة وستجد شجيرة تخرج من الأرض وفروعها محملة بالنقود »

شكر التمثال المسكين الثعلب والقطه بقلب تملؤه الفرحة ألف مرة ووعدهما بهدية جميلة.

- « نحن لا نرغب فى أية هدية » أجـاب الوغـدان « يكفـينا أننا علَّمناك طريقة تصبح بها غنيًا دون مشقة العمل ، ونحن سعداء لأننا أسدينا إليك خدمة جليلة »

وبهذا القول ترك الثعلب والقطه بينوكيوُ متمنين له حصادًا جيدًا .

الفصل التاسع عشر

بينوكيو تسرق نقوده وكعقاب له يرسل إلى السجن لأربعة شهور

عاد التمثال إلى القرية وبدأ يعدّ الدقائق دقيقة بدقيقة وعندما ظن أن الوقت قد حان سار فى الطريق المؤدية إلى حقل المعجزات .

وبينما هو يسرع الخطى كان قلبه يدق بسرعة تك ، تاك ، تك ، تاك ، وكأنه ساعة في قاعة استقبال ، وفى هذه الأثناء كان يفكر ويقول فى نفسه : « لو أننى بدلاً من ألف قطعة ذهبية ، وجدت على أفرع الشجرة ألفين ؟ لو أننى بدلاً من ألفين وجدت خمسة آلاف ؟ لو أننى بدلاً من خمسة آلاف وجدت مائة ألف ؟ آه، كم سأكون سيداً أنيقًا آنئذ - سوف يكون عندى قصر جميل ، وألف حصان خشبى صغير وألف إسطبل لألعب بها ، وقبو ملىء بالفاكهة والشراب الحلو ، ومكتبة مليئة بالحلوى والفطائر والكيك والمكرونه والبسكويت بالكريمة »

وبينما هو يبنى القلاع فى الهواء ، وصل إلى جوار الحقل ، وتوقف لينظر ما إذا كان يستطيع رؤية شجرة فروعها محملة بالنقود ، ولكنه لم ير شيئًا . تقدم مائة خطوة أخرى ، ولاشىء أيضًا ، ثم دخل الحقل

وتوجه من فوره إلى الحفرة الصغيرة ، التى وضع فيها جنيهاته الذهبية ولم يجد شيئًا . أصبح مهمومًا جدًا ونسى قواعد المجتمع والأخلاق الطيبة ؛ حيث أخرج كفيه من جيوبه ولطم خديه .

عند تلك اللحظة سمع صوت ضحكات تنفجر بجواره ، فنظر ليرى ببغاءً كبيرًا يقبع فوق شجرة ويمشط بمنقاره الريش القليل المتبقى بجسمه .

- « لماذا تضحك ؟» سأله بينوكيو بصوت غاضب .

- « أضحك لأنى عند تمشيط ريشى أدغدغ نفسى تحت الجناحين »

لم يجب التمثال ، ولكنه ذهب إلى القناة وملأ الحذاء القديم نفسه بالماء ، وبدأ من جديد فى رى الأرض التى تغطى القطع الذهبية .

وبينما كان مشغولاً سمع ضحكة أخرى أقوى من الأولى فى سكون ذلك المكان المنعزل .

- « للمرة الأخيرة » صاح بينوكيو غاضبًا « هل أستطيع أن أعرف أيها البيغاء الغير مهذب ، ما الذى يضحكك ؟»

- « أنا أضحك على أولئك البلهاء الذين يعتقدون فى كل الأمور الغبية التى تقال لهم ، والذين يسمحون لأنفسهم أن يقعوا فى الفخ بواسطة من هم أكثر منهم دهاءً »

- « هل تتحدث عنى ؟»

- « نعم ، أنا أتحدث عنك يا بينوكيو المسكين ، فأنت ساذج لدرجة أنك اعتقدت أن النقود يمكن زراعتها وحصادها فى الحقول بطريقة الفول والقرع نفسها . لقد صدقت أنا ذلك مرة واليوم أنا أعانى من جراء ذلك ، ورغم أن الأوان قد فات لكننى تعلمت أخيراً أنه لكي تكسب بعض النقود بشرف فمن الضرورى أن تعرف كيف تكسبها سواء بالعمل بيديك أم بذكاء عقلك »

- « أنا لا أفهمك » قال التمثال الذى كان قد بدأ يرتعد من الخوف .

- « كن صبوراً ! سوف أشرح ما أقول » واصل الببغاء « يجب أن تعرف إذن ، إنه بينما كنت أنت فى القرية عاد الثعلب والقطة إلى الحقل ، وأخذا المال المدفون وهربا كالريح » . ظل بينوكيو فاغراً فاه ورافضاً أن يصدق كلام الببغاء ، ثم بدأ يحفر الأرض التى قام بريها بكفيه وأظافره ، وظل يحفر ويحفر ويحفر حتى صنع حفرة عميقة يمكن أن تقف فيها كومة من سيقان الذرة ، ولكن لم تكن هناك نقود .

اندفع عائداً إلي القرية وهو فى شدة اليأس وذهب من فوره إلى المحكمة ليشكو الوغدين اللذين سرقا نقوده للقاضى . كان القاضى قرداً ضخماً من قبيلة الغوريلا ، عجوزاً ومحترماً لكبر سنه وبياض شعر ذقنه ، وعلى وجه خاص لنظارته الذهبية السميكة الزجاج ، والذى كان مرغماً على وضعها على عينه ، نتيجة التهاب بها يعذبه منذ سنوات عديدة .

روى بينوكيو فى حضور القاضى كل تفاصيل عملية النصب التى كان هو ضحيتها . حدد الاسمين وأسماء عائلتى الوغدين وغيرها من

التفاصيل وانتهى بطلب العدل . أنصت القاضى بشفقة عظيمة ، مبديًا اهتمامًا بالحكاية ومتأثرًا بها ومتعاطفًا معه وعندما لم يكن لدى التمثال ما يضيفه ، مدّ القرد يده وقرع جرسًا . عندئذ ظهر - فى الحال - كلبان كبيران يلبسان ملابس الشرطة . قال لهما القاضى وهو يشير إلى بينوكيو .

- « هذا الشيطان المسكين سرق منه أربع قطع ذهبية ، خذوه وضعوه فى السجن حالاً »

كان التمثال مشدوهًا لسماعه هذا الحكم غير العادل وحاول الاعتراض ، ولكن الشرطيين كى لا يضيعا الوقت كمما فمه وحملاه إلى الزنزانة .

وظل حبيس الزنزانة لأربعة شهور ،أربعة شهور طويلة ، وكان من الممكن أن يظل لمدة أطول لولا حادث سعيد وقع له . فالإمبراطور الصغير الذى تولى حكم مدينة « مصيدة الأغبياء » كان قد حقق نصرًا كاسحًا على أعدائه ، وأمر بإقامة الأفراح العامة .

وأقيمت الأنوار والألعاب النارية وسباقات للخيل والدراجات ، وفى خضم فرحته بالنصر الكبير أمر بفتح السجون وإطلاق سراح كل المساجين .

- « إذا كان الآخرون سيخرجون من السجن فسأخرج أنا أيضًا » ، قال بينوكيو للسجان .

- « لا ، ليس أنت » أجاب السجان « لأنك لا تنتمى للفئة المحظوظة »

- « عذراً » أجاب بينوكيو « ولكنى أيضاً مجرم »

- « فى هذه الحالة أنت محق تماماً » قال السجان ذلك ، خالعاً قبعته ومنحنياً له باحترام ، ثم فتح له باب السجن وتركه يهرب .

الفصل العشرون

بعد أن تحرر من السجن ، بدأ العودة إلى بيت الجنية ولكنه في الطريق يقابل ثعبانًا مخيفًا وبعد ذلك يسقط في فخ

فرح بينوكيو فرحة كبيرة عندما وجد نفسه حراً ، ودون أن يتوقف ليلتقط أنفاسه ترك المدينة فى الحال آخذاً الطريق المؤدية إلى بيت الجنية . ونظرًا للطقس الممطر أصبحت الطريق موحلةً فغاص فيها إلى ركبته ولكنه لم ييأس . كانت تعذبه الرغبة فى رؤية أبيه وأخته الصغيرة ذات الشعر الأزرق فأخذ يجرى ويقفز كأنه كلب صيد ، وبينما هو يجرى كان الطين يغطيه من رأسه لقدمه . قال لنفسه بينما هو سائر : « كم من المآزق حدثت لى ... وأنا أستحقها ؛ لأنى عنيد ، وانفعالى .. أنا دائمًا أصر على ما أريد ، دون أن أستمع لمن يريدون لى الخير ، والذين لديهم حكمة أكبر بألف مرة عما لدى .. ولكن من الآن فصاعداً أنا مصمم على أن أتغير وأن أصبح مرتبًا ومطيعًا ؛ لأننى أدركت أخيراً أن الأولاد غير المطيعين لا يصلون لخير أبداً ولا يكسبون شيئًا ، ولكن هل سينتظر أبى ؟ هل سأجده فى بيت الجنية ؟ ياالرجل المسكين ، لقد مر وقت طويل منذ أن رأيته آخر مرة ، إننى أكاد أموت رغبة فى أن أحتضنه وأغمره بالقبلات . هل ستسامحنى الجنية على سلوكى السيئ

تجاهها ؟ إن الخزى يملؤنى عندما أتذكر ما غمرتنى به من العطف والرعاية والحب ، وعندما أتذكر أننى إذا كنت حيًا الآن فإن ذلك يرجع لها . هل من الممكن أن يوجد ولد لا يعترف بالجميل أكثر منى ، أو ولد بدون قلب أكثر منى ..؟ »

وبينما هو يقول ذلك فى نفسه ، توقف فجأة من الرعب وتراجع أربع خطوات للخلف .

لقد رأى ثعبانًا ضخمًا ممدًا فى الطريق . كان جلده أخضر وعيناه حمراوين وذيله مدببًا ويطلق الدخان من مؤخرة ذيله كالمدخنة . كان الرعب الذى أصاب التمثال عظيمًا . سار بعيدًا إلى مسافة آمنة ، وجلس على كومة من الحجارة منتظرًا أن يذهب الثعبان إلى حال سبيله ويترك الطريق . انتظر لساعة ، ساعتين ، ثلاث ساعات ولكن الثعبان كان لا يزال هناك ، حتى إنه من مسافة غير قريبه كان بإمكانه رؤية الضوء الأحمر لعينيه الناريتين وعمود الدخَّان الذى يرتفع من مؤخرة ذيله .

أخيرًا ، حاول بينوكيو أن يكون شجاعًا ، تقدم لعدة خطوات وقال للثعبان بصوت خافت متكسر :

– « معذرة ، يا سيدى الثعبان ، هل تحركت قليلاً إلى أحد الأجناب حتى تسمح لى بالمرور ؟»

كان كمن يتحدث إلى حائط . لم يتحرك الثعبان من مكانه . كلَّمه مرة أخرى بالصوت الضعيف نفسه :

- « عليك أن تعرف يا سيدى الثعبان ، أننى فى طريقى للبيت ؛ حيث ينتظرنى أبى ، ولقد مر وقت طويل منذ أن رأيته آخر مرة ، فهل تسمح لى باستكمال طريقى ؟»

انتظر استجابة لطلبه ، ولكن لم يحدث ، فى الحقيقة أن الثعبان الذى كان حتى تلك اللحظة ممتلئًا بالحياة ، أصبح عديم الحركة وخامد تقريبًا . أغلق عينيه وتوقف ذيله عن إطلاق سحابة الدخان .

- « هل يمكن حقا أن يكون ميتًا ؟» قال بنيوكيو ، وهو يفرك كفيه فرحًا ، وصمم على أن يقفز فوقه ليصل إلى الجانب الآخر من الطريق . ولكن ما كاد يقفز حتى رفع الثعبان نفسه فجأة كأنه لولب فارتد بينوكيو للخلف مذعوراً وتعثر وسقط على الأرض . كان سقوطه شديداً وغريبًا فقد التصق رأسه بالطين وساقاه لأعلى . وحينما رأى التمثال وهو يرفس الهواء بعنف ورأسه فى الطين أخذت الثعبان نوبة من الضحك الشديد ، فظل يضحك ويضحك حتى إنه من شدة الضحك انفجر صدره ومات ، وهذه المرة كان ميتًا بالفعل .

بعدها اندفع بينوكيو يجرى وهو يأمل فى أن يصل إلى بيت الجنية قبل أن يحل الظلام . ولكن قبل مرور وقت طويل بدأ يعانى بشدة من الجوع الذى لم يكن يستطيع أن يتحمله ، فقفز إلى حقل عنب بجوار الطريق على أمل أن يجد بعضًا منه ، وما إن اقترب من الكرمة حتى أمسك بقدميه قضيبين من الحديد لفخ منصوب ، كان الألم الذى أحسه رهيبًا لدرجة أن النجوم رقصت أمام عينيه بكل لون . كان الفخ قد وضعه صاحب المزرعة للإمساك ببعض الثعالب التى كانت تأكل الدجاج

الفصل الحادى والعشرون

أحد الفلاحين يأوى بنيوكيو ، ويرغمه على أن يأخذ مكان كلب المراقبة فى مزرعة الدواجن

بدأ بينوكيو فى البكاء والصراخ ، ولكن دموعه وتأوهاته ذهبت سدى ؛ حيث لم يكن هناك بيت يمكن رؤيته ولا كائن حى يمر بالطريق . أخيرًا حلّ الليل .

ونتيجة للألم الذى سببه الفخ ، والذى جرح ساقيه ، ومن خوفه أن يجد نفسه وحيداً فى الظلام وسط الحقول ، أوشك التمثال على الإغماء . عند هذه اللحظة رأى ذبابة تحوم حول رأسه . نادى عليها قائلاً :

- « آه ، أيتها الذبابة الصغيرة ، هل تشفقين علىّ وتطلقى سراحى من هذا العذاب ؟»

- « ولد مسكين » قالت الذبابة وقد توقفت ناظرة إليه بشفقة .

- « ولكن كيف لساقيك أن يقعا فى قبضة ذلك الحديد الحاد ؟»

- « لقد جئت إلى الحقل لأجمع بعض العنب ، و ...»

- « وهل يخصك هذا العنب ؟ »

- « لا »

- « إذن فمن علمك أن تأخذ ممتلكات الآخرين »

- « كنت شديد الجوع »

- « الجوع ، يا ولدى ، ليس بسبب وجيه لأخذ ما لا يخصك »

- « ذلك صحيح ، ذلك صحيح » قال بنيوكيو باكيًا « لن أفعل ذلك مرة أخرى »

فى تلك اللحظة ، سمعا صوت حفيف أقدام مقبلة . كانت لصاحب الحقل وهو يسير على أطراف أصابعه ليرى ما إذا كانت إحدى الثعالب التى تأكل دجاجاته فى الليل قد وقعت فى الفخ .

كانت دهشته عظيمة عندما أخرج فانوسه من تحت معطفه فرأى فى الفخ صبيًا بدلاً من الثعلب .

- « آه ، أيها اللص الصغير » صاح الفلاح الغاضب « إذن أنت من يسرق دجاجى »

- « لا ، لست أنا بالتأكيد » صاح بينوكيو باكيًا « لقد دخلت الحقل لآخذ عنقودين من العنب »

- « من يسرق العنب يستطيع أن يسرق الدجاج . اترك ذلك لى . سوف ألقنك درسًا لن تنساه بسرعة »

وقام بفتح الفخ وأمسك بالتمثال من رقبته وحمله إلى البيت كما لو كان شاة صغيرة .

عندمـا وصل إلى الفناء أمـام المنزل قـذف به بعنف على الأرض ووضع قدمه على رقبته قائلاً له :

- « الوقت متـأخر وأريد الذهاب لكى أنام ، سوف نسوى حسابنا غداً . خلال هذا الوقت ؛ ولأن الكلب الذى يقوم بالحراسة قد مات ، فسوف تحل محله فى الحال . سوف تكون كلب الحراسة لى » وأخذ حلقة ضخمة تغطيها كرات نحاسية ، وقام بوضعها بإحكام حول رقبة بينوكيو حتى لا يستطيع إخراج رأسه منها . وقام بتثبيت سلسلة ثقيلة متصلة بالرقبة فى الجدار .

- « لو أمطرت الليلة يمكنك الذهاب للرقاد فى بيت الكلاب ، لا يزال هناك القش الذى كان يستخدمه كلبى المسكين كفراش على مدى السنوات الأربع الأخيرة . إذا جاء لصوص ، تذكر أن تجعل أذنيك مرهفتان وأن تنبح » بعد أن أعطاه التعليمات الأخيرة ، دخل الرجل إلى البيت وأغلق الباب .

ظل بينوكيو المسكين راقدا على الأرض وهو أشبه بالميت من أثر البرد والجوع والخوف . ومن وقت لآخر ، كان يضع يده على الطوق المثبت فى عنقه ويقول باكياً :

« أنا أستحق ذلك . بالتأكيد أستحق ذلك ! لقد كنت مصراً على أن أكون صعلوكاً وبلا قيمة . أنا أستمع إلى رفاق السوء ؛ ولهذا تواجهنى الكوارث دائماً . لو كنت ولداً صغيراً طيباً كباقى الأولاد ، لو كنت راغباً فى التعلم والعمل ، لو أننى ظللت فى البيت مع أبى المسكين ،

ما كنت الآن فى وسط الحقول مرغماً على أن أكون كلب حراسة لبيت فلاح . آه ، ليتنى أولد من جديد ! ولكن لقد فات الأوان ويجب أن أكون صبوراً »

استراح نتيجة لتلك الثورة الصغيرة التى جاءت من قلبه مباشرة ، واتجه إلى بيت الكلاب ، وارتمى نائماً .

الفصل الثانى والعشرون

بينوكيو يكتشف اللصوص ومكافأة له على إخلاصه يُطلق الفلاح سراحه

كان نائماً بعمق عندما أيقظته فى منتصف الليل أصوات غريبة آتية من الفناء . دفع أنفه خارج بيت الكلاب فرأى أربعة حيوانات داكنة الفراء تشبه القطط واقفة تستشير بعضها . لم يكونوا قططاً ، بل حيوانات صغيرة أشبه بالثعالب تعرف « ببنات عِرْس » ، وهى حيوانات آكلة لحم وشديدة الشراهة للبيض والكتاكيت . ترك أحد « العِرَس » رفاقه وجاء إلى فتحة بيت الكلاب وقال بصوت هامس :

– « مساء الخير يا ميلامبو »

– « اسمى ليس ميلامبو » أجاب بينوكيو .

– « آه ، إذن ، ما اسمك ؟»

– « بينوكيو »

– « وماذا تفعل هنا ؟»

– « أنا أقوم بدور كلب الحراسة »

- « إذن أين ميلامبو ؟ أين الكلب العجوز الذى كان يعيش فى هذا البيت ؟»

- « مات هذا الصباح »

- « هل مات ؟ الحيوان المسكين . لقد كان طيبًا جدًا وأنت أيضًا ملامحك طيبة وأراك كلبًا طيبًا »

- « عذرًا ، أنا لست بكلب »

- « لست بكلب ، إذن فماذا تكون ؟»

- « أنا تمثال »

- « وهل تقوم بدور كلب الحراسة ؟»

- « هذا صحيح تمامًا ، فأنا أعاقب من قبل صاحب المزرعة »

- « حسنًا ، إذن سوف أمنحك الشروط نفسها التى اتفقنا عليها مع المرحوم ميلامبو ، وأنا واثق أنها ستعجبك »

- « وما هى تلك الشروط ؟»

- « ليلة واحدة من كل أسبوع ستسمح لنا بزيارة حظيرة الدجاج كما نفعل الآن ، وأن نأخذ ثمانى دجاجات ، سبع منها سنأكلها وواحدة نعطيها لك ، ووفقا للاتفاق المبرم بيننا عليك أن تدعى النوم وألا يجول بخاطرك النباح وإيقاظ الفلاح » .

- « هل كان ميلامبو يصنع ذلك ؟» سأل بينوكيو .

– « بالتأكيد ، وكنا دائمًا على وفاق تام معه . نم جيداً ، وتأكد أننا قبل ذهابنا سنترك بجوار بيت الكلاب دجاجة جميلة جاهزة لإفطارك غداً . هل نفهم بعضنا بوضوح ؟»

– « نعم ، بوضوح جداً .... » أجاب بينوكيو وهو يهز رأسه متوعداً كما لو أنه يقول سوف تسمعون عن ذلك قريباً .

ذهبت « العِرس » الأربع – معتقدة أنها فى أمان – إلى حظيرة الدجاج بالقرب من بيت الكلاب ، وقاموا بفتح البوابة الخشبية بأسنانهم ومخالبهم ، ودخلوا واحدة وراء الأخرى .

لكنهم ما كادوا يجتازون البوابة حتى سمعوا الباب يقفل خلفهم بعنف شديد . كان بينوكيو هو من أقفله ، وليتأكد من تمام إقفاله وضع حجراً ضخماً وراءه ليبقيه مقفلاً ، ثم بدأ النباح – تماماً ككلب الحراسة .

وما إن سمع الفلاح صوت النباح حتى قفز من الفراش ، آخذاً بندقيته وجاء إلى النافذة سائلاً :

– « ما الأمر ؟ »

– « يوجد لصوص » أجاب بينوكيو .

– « أين هم ؟»

– « فى حظيرة الدجاج »

– « سآتى حالاً »

وفى لحظات كان الفلاح قد نزل ، واندفع إلى حظيرة الدجاج ، وأمسك بالعرس ووضعهم فى جوال قائلاً بنبرة راضية .

– « أخيراً وقعتم فى يدى . من الممكن أن أعاقبكم ؛ ولكننى لست قاسيًا لهذه الدرجة . سوف أقنع بأن أحملكم فى الصباح إلى صاحب الحانة فى القرية المجاورة وسيقوم بسلخكم وطبخكم كالأرانب فى الصلصة الحلوة والحارة ، ثم استطرد ضاحكًا :

– « إنه لشرف لا تستحقونه ، ولكن الناس الكرماء مثلى لا يأبهون بمثل هذه التفاهات »

ثم أقبل على بينوكيو وأخذ يربت على كتفه وسأله : « كيف استطعت اكتشاف اللصوص الأربعة ؟ إن كلبى ميلامبو الأمين لم يكشف شيئًا أبداً »

كان من الممكن للتمثال أن يقول له القصة كاملة ، وكان من الممكن أن يطلعه على الشروط المهينة التى كانت بين الكلب والعِرس ولكنه تذكر أن الكلب قد مات ، وقال فى نفسه :

– « ما فائدة اتهام الموتى ؟ الموتى موتى وأفضل شىء يمكن عمله هو تركهم فى سلام »

– « عندما دخل اللصوص إلى الحظيرة ، هل كنت نائماً أو مستيقظا ؟» سأله الفلاح .

- « كنت نائمًا » أجاب بينوكيو « ولكن العِرَس أيقظوني بثرثرتهم ، وجاء واحد منهم إلى بيت الكلاب وقال لي : « إذا وعدت بعدم النباح وعدم إيقاظ السيد ، سوف نهديك دجاجة سمينة » انظر كيف واتتهم الوقاحة ليقترحوا شيئًا كهذا عليّ ، فرغم أنني مجرد تمثال به كل نقائص الدنيا فهناك أمر واحد لا يمكن أن أفكر فيه ؛ وهو عمل اتفاق أو اقتسام غنائم مع أناس غير شرفاء »

- « نِعْمَ القول يا ولدى » صاح الفلاح وهو يربت على كتفه « مثل هذه العواطف تضفي عليك الشرف ، وكدليل على عميق عرفاني بالجميل سوف أطلق سراحك حالاً ويمكنك الذهاب لبيتك . ونزع عنه طوق الكلب .

الفصل الثالث والعشرون

بينوكيو يحزن لموت الطفلة الجميلة ذات الشعر الأزرق ، ثم يقابل حمامة تطير به إلى شاطئ البحر ؛ حيث يلقى بنفسه إلى الماء ليذهب لمساعدة أبيه - چيبتيو

ما إن أطلق الفلاح سراح بينوكيو ونزع عنه الطوق الفظيع الذى كان للكلب ميلامبو حتى شرع فى السير عبر الحقول دونما توقف إلى أن وصل إلى الطريق الرئيسية المؤدية إلى بيت الجنيّة . هنا التفت ونظر لأسفل نحو السهل فتمكن من رؤية الغابة والمكان حيث قابل لسوء حظه الثعلب والقطة ، وأمكنه أن يرى بين الأشجار قمة شجرة البلوط الكبيرة التى تم شنقه عليها ، ولكن رغم أنه نظر فى كل اتجاه ، لم يكن البيت الصغير الخاص بالطفلة الجميلة ذات الشعر الأزرق موجوداً فى أى مكان . سيطرت عليه مشاعر سيئة ، وبدأ فى الجرى بكل قوة لديه ، وفى دقائق قليلة وصل إلى الحقل الذى كان يوجد به البيت الأبيض ، ولكن البيت الأبيض الصغير لم يكن هناك ، رأى بدلاً منه قطعة من الرخام ، محفور عليها الكلمات الحزينة التالية :

هنا ترقد

الطفلة ذات الشعر الأزرق

التى ماتت من الحزن

عندما تخلى عنها الصغير بينوكيو

سيطرت عليه مشاعر الحزن العظيم عندما تهجى بصعوبة الكلمات المكتوبة على شاهد القبر. وانحنى بوجهه ، سقط بوجهه على الأرض وأخذ يقبِّل قطعة الرخام آلاف القبلات ثم انفجر فى البكاء بلوعة . بكى طوال الليل ، وعندما جاء الصبح كان لا يزال يبكى رغم أنه لم يعد يملك دموعًا ليسكبها ، كانت زفراته الحزينة ولوعته تمزق قلبه بشدة لدرجة أن صداها تردد فى التلال المحيطة . وبينما هو يبكى قال :

- « آه ، أيتها الجنية الصغيرة ، لماذا تموتين ؟ لماذا لم أمت أنا بدلاً منك ؟ أنا الشرير وأنتِ الطيبة ؟ وأبى أين يمكن أن يكون ؟ آه ، أيتها الجنيّة الصغيرة ، قولى لى أين يمكن أن أجده ؛ لأنى أريد أن أظل معه دائمًا ولا أتركه ثانية أبدًا . آه ، أيتها الجنية الصغيرة ، قولى لى إنك لم تموتِى إذا كنت تحبيننى حقًا ، إذا كنت حقًا تحبين أخاك الصغير عودى للحياة ثانية .. عودى للحياة كما كنت قبلاً .. ألا يؤلمك رؤيتى وحيداً وقد تخلى عنى الجميع؟ لو جاء المخادعون سوف يشنقوننى ثانية على فرع شجرة .. وعندها سأموت بالتأكيد . ماذا تعتقدين أنى فاعل هنا وحدى فى هذا العالم ؟ الآن وقد فقدتك وفقدت أبى ، فمن سيطعمنى ؟ وأين سأنام فى الليل؟ ومن سيصنع لى صديريًا جديداً ؟ آه ، سوف يكون من الأفضل ألف مرة أن أموت أنا أيضًا . نعم ، أنا أريد أن أموت .. إه إه إه ...»

ومن يأسه وفرط حزنه حاول تمزيق شعره ؛ ولكن لأن شعره مصنوع من الخشب ، لم يكن بمقدوره أن يغرس أصابعه فيه . عندئذ ، رفرفت حمامة ضخمة فوق رأسه وتوقفت في الهواء بأجنحة مبسوطة قائلة له من ارتفاع عالٍ :

- « أخبرني أيها الطفل ، ما الذي تفعله هناك ؟»

- « ألا ترين ؟ أنا أبكي » قال بينوكيو ، رافعًا رأسه في اتجاه الصوت وهو يمسح عينيه في صديريته .

- « قل لي ، هل حدث أن عرفت تمثالاً يسمى بينوكيو »

- « بينوكيو ... هل قلت بينوكيو ؟» قال التمثال قافزًا على قدميه « أنا بينوكيو »

نزلت الحمامة عند سماعها هذه الإجابة إلي الأرض ، وكانت أكبر حجمًا من الديك الرومي .

- « هل تعرف أيضا چيبتيو ؟» سألته الحمامة .

- « هل أعرفه ؛ إنه أبي المسكين ، هل أخبرك عني ؟ هل تأخذيني إليه ؟ هل لا يزال حيًا ؟ أجيبي شفقة بي ، هل لا يزال حيًا ؟ »

- « تركته منذ ثلاثة أيام على شاطئ البحر »

- « ماذا كان يفعل ؟»

– « كان يبنى قاربًا صغيراً لنفسه لكى يعبر المحيط ، فلأكثر من ثلاثـة شـهور كان هذا الرجـل المسكين يجـوب البـلاد بحثـًا عنك ؛ ولأنه لم ينجح فـى العثور عليك ، يدور في عقله الآن أن يذهب إلى البلاد البعيدة فى العالم الجديد للبحث عنك »

– « كم يبعد شاطئ البحر عن هنا ؟» سألها بينوكيو وهو ينهته .

– « أكثر من ستمائة ميل »

– « ستمائة ميل ؟ آه أيتها الحمامة الجميلة ، كم كان سيكون جميلا لو كانت لى أجنحتك ...»

– « إذا أردت أن تذهب فسأحملك إلى هناك »

– « كيف ؟»

– « بأن تركب على ظهرى ، هل أنت ثقيل الوزن ؟»

– « أنا لا أزن شيئًا .. أنا خفيف كالريشة »

ودون انتظار ، قفز بينوكيو فى التو على ظهر الحمامة ، ووضع ساقـًا على كل جانب من جانبيها كما يفعـل الناس على ظهر الجواد وقال مسروراً :

– « عدواً ، عدواً يا حصانى الصغير ؛ لأنى مشتاق للوصول بسرعة »

طارت الحمامة وبعد دقائق قليلة ارتفعت لأعلى حتى لامست السحاب . وعندما وجد بينوكيو نفسه على هذا الارتفاع العظيم ، جعله

الفضول ينظر لأسفل فأصابه الدوار وخاف أن يسقط . ولكى يحافظ على نفسه من السقوط لفّ ذراعيه بشدة حول عنق الحمامة وتشبث بريشها . طارت به الحمامة طوال اليوم وعند حلول المساء قالت له :

- « أنا شديدة العطش »

- « وأنا شديد الجوع »

- « دعنا نتوقف عند برج الحمام لعدة دقائق ، بعدها سوف نواصل رحلتنا لنصل إلى شاطئ البحر فجر الغد »

ذهبا إلى برج حمام مهجور فلم يجدا سوى وعاءً مليئًا بالماء وسلة مليئة بالحمص .

لم يكن التمثال بمقدوره أن يأكل الحمص . فإنه يسبب له المرض وينفر منه . لكنه رغم ذلك أكل حتى شبع ، وعندما أوشك على إفراغ السلة التفت إلى الحمامة وقال لها :

- « لم أكن أعرف أن الحمص طيب المذاق هكذا »

- « تأكد يا ولدى أن الجوع حينما يكون حقيقياً ، ولا يوجد شىء آخر لتأكله ، فإن الحمص يصبح لذيذاً . الجوع لا يعرف نوعًا ولا طعمًا »

بعد أن انتهيا من وجبتهما الصغيرة ، عادا لرحلتهما وطارا بعيداً . فى صباح اليوم التالى وصلا إلى شاطئ البحر .

وضعت الحمامة بينوكيو على الأرض ، ولعدم رغبتها فى أن يشكرها على فعل الخير ، طارت مسرعة واختفت بين السحاب .

كان الشاطئ مزدحمًا بالناس الذين كانوا ينظرون إلى البحر ويصرخون .

- « ما الذى حدث ؟ » سأل بينوكيو امرأة عجوزًا .

- « أب مسكين فقد ابنه فذهب يبحث عنه فى قارب فى الجانب العميق من البحر ، والبحر اليوم عاصف والقارب يوشك على الغرق »

- « أين القارب الصغير ؟»

- « إنه هناك » قالت العجوز مشيرة إلى زورق صغير بدا على هذا البعد كقشرة بندق بداخلها رجل صغير جدًا .

ثبّت بينوكيو نظره عليه ، وبعد أن دقق النظر صرخ صرخة مروّعة وقال باكيًا :

- « إنه أبى ! إنه أبى »

كان القارب تضربه الأمواج العاتية ، يختفى للحظة فى قاع الموج ، ثم يظهر ثانية على السطح . كان بينوكيو واقفًا على قمة صخرة عالية ، ينادى على أبيه ، ويشير إليه بكل الإشارات بيديه ومنديله وقلنسوته .

ورغم أنه كان بعيدًا جدًا ، بدا أن چيبتيو قد تعرف على ابنه ؛ لأنه هو الآخر خلع قلنسوته ولوّح بها إليه وحاول إفهامه بالإشارة أنه يجتهد ليعود ، ولكن لأن البحر عاصف والريح شديدة لا يمكنه استعمال مجاديفه والاتجاه للشاطئ .

فجأة ، ارتفعت موجة هائلة واختفى القارب . وانتظر الجميع أن يظهر على السطح مرة أخرى ، ولكنه لم يظهر ثانية .

- « الرجل المسكين » قال الصيادون المتجمعون على الشاطئ وهم يتلون الصلوات عائدين إلى منازلهم. في تلك اللحظة سمعوا صرخة يائسة ، نظروا للخلف فرأوا صبيًا صغيرًا يقول وهو يقفز من فوق الصخرة إلى البحر .

- « سوف أنقذ أبى »

ولأن بينوكيو مصنوع من الخشب ، طفا بسهولة وعام كالسمكة . ورآه الناس وهو يختفى فى الماء تحمله الأمواج الغاضبة ثم يظهر وهو يصارع الماء بساق أو بيد . أخيراً ، لم يعد بمقدورهم رؤيته ولم يظهر مرة أخرى .

- « الولد المسكين » قال الصيادون المتجمعون على الشاطئ ، وهم يتلون صلاةً ويعودون لمنازلهم .

الفصل الرابع والعشرون

بينوكيو يصل إلى جزيرة النحل النشيط ويجد الجنّيّة مرة أخرى

سبح بينوكيو طوال الليل على أمل أن يصل فى الوقت المناسب لإنقاذ أبيه .. وكم كانت ليلة رهيبة ! فقد سقطت الأمطار بغزارة وأرعدت السماء رعداً مخيفاً وأحال البرق الليل نهاراً .

وبحلول الصبح ، رأى شريطاً طويلاً من الأرض ليس ببعيد عنه . كانت جزيرة فى وسط البحر . حاول ما وسعه الجهد أن يصل للشاطئ دونما جدوى . كانت الأمواج تتسابق وتعلو على بعضها وتدفعه فى كل اتجاه كما لو كان عصا أو قطعة من الخشب . أخيراً – ولحسن حظه – علت موجة هائلة بعنف وشدة وحملته لأعلى وقذفته بقوة بعيداً ، فسقط على الرمال بقوة لدرجة أنه غاص فى الرمال المبللة لمسافة كبيرة ، ولكنه تمالك نفسه قائلاً :

– « هذه المرة أيضاً حققت هروباً عجيباً »

شيئاً فشيئاً صفت السماء وأشرقت الشمس بأشعتها الرائعة ، وأصبح البحر هادئاً وناعماً كالزيت .

وضع التمثال ملابسه فى الشمس لتجف وبدأ ينظر فى كل اتجاه على أمل أن يرى فوق الماء زورقًا صغيراً بداخله رجل صغير ، ولكن رغم أنه نظر ونظر لم يستطع أن يرى شيئًا سوى السماء والبحر وأشرعة بعض السفن ، ولكنها كانت بعيدة جداً فبدت صغيرة جداً مثل ذبابة .

قال فى نفسه : « كم أود لو أعرف اسم هذه الجزيرة ، وما إذا كانت مأهولة ببشر متمدينين لا يشنقون الأولاد على أفرع الشجر »

– « ولكن أأستطيع أن أسأل وليس هنا أحد ؟» ولعدم معرفته اسم الجزيرة ، أطلق التمثال صوته عاليًا تردد صداه وقال صائحًا :

– « أيتها السيدة سمكة ، هل تسمحين لى بكلمة معك ؟»

– « كلمتان إذا أحببت » أجابت سمكة فى البحر ، والتى كانت درفيلاً أنثى وشديدة التهذيب لدرجة يصعب معها أن تجد مثلها فى أى بحر من بحار العالم .

– « هل تكونى طيبة وتخبرينى ما إذا كانت هناك قرى على هذه الجزيرة يمكن أن أجد فيها شيئًا لآكله دون أن أتعرض للخطر ؟»

– « بالتأكيد توجد .. سوف تجد واحدة على مسافة قريبة من هنا »

– « وأى طريق يجب أن أسلكه لأصل إليها ؟»

– « يجب أن تأخذ الطريق التى إلى يسارك وتتبع أنفك ، وسوف لا تخطئ الطريق »

– « هل تخبريني عن شيء آخر ؟ أنت يامن تسبحين في البحار طوال الليل وطوال النهار ، هل صادفك زورق صغير يوجد به أبي ؟»

– « ومن هو أبوك ؟»

– « إنه أفضل أب في العالم ، رغم أنه من الصعب أن تجدي ابنا أسوأ مني »

– « خلال العاصفة الرهيبة في الليلة الماضية ، لابد وأن الزورق الصغير قد غرق وغاص إلى القاع »

– « وماذا عن أبي ؟ »

– « لابد وأن كلب البحر المخيف قد ابتلعه ، فهو ينشر الخراب والدمار في البحر منذ عدة أيام »

– « هل كلب البحر هذا شديد الضخامة ؟» سأل بينوكيو ..

– « يجب أن تعرف أنه أضخم من منزل من خمسة طوابق ، وأن فمه كبير جداً وعميق جداً لدرجة أن قطاراً يمكن أن يمر بسهولة عبره » .

– « فليرحمنا الله »,تنهد التمثال الخائف وهو يرتدي ملابسه بسرعة قائلاً للسمكة :

– « إلى اللقاء ، أيتها السمكة ، أرجو أن تغفري لي المتاعب التي سببتها لك وشكراً جزيلاً لك »

سلك الطريق التى أشارت السمكة إليها ، وبدأ يمشى بسرعة ، كان يهرول ويستحث الخُطا وعند أقل صوت كان ينظر خلفه خائفًا من أن يرى كلب البحر الرهيب وهو يتبع خطواته .

بعد أن سار لنصف ساعة وصل إلى قرية صغيرة تسمى « قرية النحل النشيط » كانت الطريق عامرةً بالناس الذين يجرون هنا وهناك سعيًا وراء أعمالهم ، فالجميع لديه ما يعمله ولا يمكنك أن تجد عاطلاً أو كسولاً فى تلك القرية النشيطة .

قال بينوكيو الكسول فى الحال : « أعتقد أن هذه القرية لن تناسبنى أبداً فأنا لم أخلق لعمل شىء »

فى ذلك الوقت كان الجوع يضنيه ؛ لأنه لم يأكل شيئًا لأربع وعشرين ساعة ، ولا حتى بعض الحمص . فماذا يا ترى هو فاعل ؟

كانت هناك طريقتان فقط يمكن بهما أن يحصل على طعام :

إما بأن يعمل عمل بسيط ، أو أن يتسول نصف قرش أو قضمة خبز . كان يخجله أن يتسول ؛ لأن أباه علمه أن التسول حرفة لا يمتهنها سوى العجوز والعاجز ، فهم الفقراء حقًا فى هذا العالم ويستحقون الرحمة والمساعدة ؛ لأنهم نتيجة للسن والمرض ليسوا بقادرين على كسب عيشهم والعمل بأيديهم ، وعلى كل شخص آخر دونهم أن يعمل ، فإذا لم يعمل فسيعانى الجوع .

عند تلك اللحظة جاء رجل عبر الطريق ، كان متعبًا ويلهث من أجل أن يلتقط أنفاسه . كان يجر خلفه عربتين مملوءتين بالفحم بصعوبة بالغة .

أدرك بينوكيو من ملامح الرجل أنه إنسان طيب ، فتقدم منه وهو ينظر لأسفل ، قائلاً بخجل وبصوت خفيض :

– « هل يسمح إحسانك أن تعطيني نصف قرش ؛ لأنني أكاد أن أموت جوعاً ؟»

– « لن أعطيك نصف قرش فقط ، ولكني سأعطيك قرشين ، إذا ما ساعدتني في جَرّ العربتين المحملتين بالفحم إلى البيت »

– « لقد أدهشتني » أجاب التمثال بصوت غاضب « دعني أقول لك إنني غير معتاد على العمل كالحمار ، فأنا لم أجّر عربة أبداً »

– « إذا كان العمل غير مألوف بالنسبة لك ، وإذا كنت تكاد تموت من الجوع حقًا ، فعليك أن تأكل شريحتين من كرامتك ، واحترس أن يصيبك عسر الهضم » . بعد دقائق قليلة ، مر عبر الطريق أحد البنّائين يحمل على كتفيه سلة بها جير .

– « هل يسمح إحسانك أيها الرجل الطيب أن تمنح نصف قرش لصبي فقير تعذبه الحاجة للطعام ؟»

– « بكل سرور » أجاب الرجل « تعال معي واحمل الجير ، وبدلاً من نصف قرش سأعطيك خمسة قروش »

– « ولكن الجير ثقيل ، وأنا لا أريد أن أتعب »

– « إذا لم تكن تود أن تتعب ، فعليك يا ولدي أن تقضي وقتك في التثاؤب ، فقد يكون ذلك مفيداً لك »

بعد أقل من نصف ساعة ، كان قد مر عشرات من الناس ، وكان بينوكيو قد سألهم جميعًا ، ولكنهم جميعا أجابوا قائلين له :

– « ألا تخجل من التسول ؟ بدلاً من التسكع في الطرقات اذهب وابحث عن عمل بسيط وتعلّم أن تكسب عيشك » . أخيراً جاءت امرأة صغيرة لطيفة تحمل جردلين من الماء .

– « هل تسمحين لي بشرب القليل من الماء ؟» سألها بينوكيو الذي كان يحترق عطشاً .

– « اشرب يا ولدي إذا رغبت » قالت المرأة الصغيرة وهي تضع الجردلين على الأرض .

شرب كثيراً حتى ارتوى ، وتمتم وهو يجفف فمه :

– « لقد رويت ظمأي ، وأريد أن آكل .» عندما سمعت المرأة الطيبة تلك الكلمات قالت في الحال : .

– « لو ساعدتني في حمل الجردلين إلى البيت ، سأعطيك قطعة كبيرة من الخبز »

نظر بينوكيو إلى الجردلين ولم يقل نعم أو لا .

– « وإلى جانب الخبز ، سأعطيكَ طبقًا شهيا من القرنبيط المتبل بالزيت والخل » أضافت المرأة الطيبة.

نظر بينوكيو مرة أخرى إلى الجردلين ولم يجب بنعم أو لا .

– « وبعد القرنبيط سأعطيك بونبون جميل مليء بالعسل »

كان الإغـراء الخاص بالعـرض الأخير قـويًا لدرجـة أن بينوكيو لم يقاومه ، وقال على الفور :

- « يجب أن أكون صبورًا ! سوف أحمل أحد الجردلين إلى بيتك »

كان الجردل ثقيلاً ؛ ولأن التمثال لم يكن قويًا للدرجة التى تمكّنه من حمله بيده ، قرر أن يحمله على رأسه .

عندما وصلا إلى البيت ، أجلست المرأة الطيبة بينوكيو إلى منضدة صغيرة ووضعت أمامه الخبز والقرنبيط والبونبون .

التهم بينوكيو ما وضعته المرأة أمامه ، وبعد أن شبع مدد ساقيه أمامه فى استرخاء .

ثم رفع رأسه ليشكر من أحسنت إليه ، ولكنه ما إن نظر إليها حتى تأوه عجبًا وظل يحملق فيها بأعين مفتوحة على اتساعها كما لو كان قد مسّه السحر .

- « ما الذى أدهشك إلى هذه الدرجة ؟» سألت المرأة الطيبة ضاحكة .

- « إنه .... » إنه ... إنه ..... أنت تشبهين ... أنت تذكريننى .... نعم نعم نعم ، الصوت الخفيض نفسه ... الأعين نفسها .. الشعر نفسه .. نعم نعم نعم ... إن شعرك أزرق ... كما كان شعرها .. آه ، الجنيّة الصغيرة ... قولى لى إنها أنت ... أأنت حقًا ....؟ لا تجعلينى أبكى ثانية ... لقد بكيت كثيراً ، .. لقد عانيت كثيراً »

وبسرعة احتضن بينوكيو المرأة الصغيرة الغامضة وأخذ فى البكاء بمرارة .

الفصل الخامس والعشرون

بينوكيو يعد الجنيه بأن يصير صالحًا وطيبًا ؛ لأنه صار مستاءً من كونه تمثالاً ويرغب فى أن يصبح صبيًا مثاليًا

فى البداية ، أصرت المرأة الصغيرة على أنها ليست الجنيّة الصغيرة ذات الشعر الأزرق ، ولكنها عندما رأت أنه اكتشف حقيقتها ، ولعدم رغبتها فى الاستمرار فى الإنكار أكثر من ذلك، أنهت الموقف بأن أعلنت عن نفسها وقالت لبينوكيو : « أيها الخبيث الصغير ، كيف اكتشفت من أكون ؟»

– « حبى العظيم لك هو الذى كشف لى حقيقتك »

– « هل تتذكر؟ لقد تركتنى طفلة والآن أصبحت امرأة . امرأة كبيرة لدرجة أننى من الممكن أن أكون أمك »

– « أنا مسرور لذلك ، من الآن بدلاً من أن أناديك بأختى الصغيرة سوف أناديك ماما . لقد تمنيت لوقت طويل أن يكون لى أم مثل سائر الأولاد »

– « ولكن كيف أمكنك أن تكبرى بهذه السرعة ؟»

- « هذا سر »

- « قوليه لي ؛ لأني أود أن أكبر أنا أيضًا . ألا ترين ؟ أنا دائمًا في حجم الوتد »

- « ولكنك لا تستطيع أن تكبر »

- « لماذا ؟ »

- « لأن التماثيل لا تكبر أبدًا ؛ لأنها تولد تماثيل ، وتعيش تماثيل ، وتموت تماثيل »

- « لقد سئمت من كوني تمثالاً » صاح بينوكيو وهو يتأوه بحزن « لقد حان الوقت لأن أصبح إنسانًا »

- « سوف تصبح إنسانًا إذا كنت تستحق ذلك »

- « وما الذي أستطيع عمله لأستحق ذلك ؟»

- « أمر بسيط جدًا ، أن تتعلم كيف تكون ولدًا طيبًا »

- « وهل تعتقدين أنني لست طيبًا ؟»

- « أنت على العكس تمامًا ، فالأولاد الطيبون مطيعون وأنت .... »

- « وأنا غير مطيع .. أليس كذلك ؟!»

- « الأولاد الطيبون يحبون أن يتعلموا ويعملوا وأنت ... »

- « وأنا بدلاً من ذلك أعيش عيشة الصعاليك طوال السنة »

- « الأولاد الطيبون يقولون الحق دائمًا ... »

- « وأنا دائمًا أكذب »

- « الأولاد الطيبون يذهبون إلى المدرسة برغبتهم ...»

- « وأنا لا أحب المدرسة ؛ لأنها تؤلمنى بجميع أجزاء جسمى » ولكن من اليوم سأغير حياتى ..

- « هل تعدنى ؟»

- « أعدك . سوف أصبح ولدًا طيبًا وسوف أكون العزاء لأبى ، لكن أين أبى المسكين ..؟»

- « أنا لا أعرف »

- « هل سأسعد برؤيته وتقبيله مرة أخرى ؟»

- « أنا متأكدة من ذلك »

أسرت الإجابة بينوكيو لدرجة أنه أخذ يد الجنيّة وبدأ فى تقبيلها بنشوة وامتنان بالغين ، ثم رفع رأسه ونظر إليها بحب وسألها :

- « أخبرينى يا أمى الصغيرة ، ألم يكن حقيقيًا أنك مت ؟»

- « يبدو كذلك » قالت الجنيّة الصغيرة وهى تبتسم .

- « آه لو علمت الأسى الذى شعرت به وانقباض روحى عندما قرأت : هنا ترقد ... »

– « أعرف ذلك ، ولهذا السبب سامحتك . لقد عرفت من إخلاص حزنك أن لك قلبًا طيبًا وعندما يكون للأولاد قلوب طيبة ، حتى لو كانت لهم عادات سيئة ، فهناك دائمًا شيء يبعث على الأمل فيهم ، هناك دائمًا أمل فى أن ينقلبوا إلى الأفضل ؛ لهذا جئت أبحث عنك هنا وسوف أصبح أمك »

– « يا للسعادة » هتف بينوكيو قافزًا من الفرحة .

– « يجب أن تطيعنى وأن تفعل كل ما آمرك به »

– « بكل ترحيب »

سكتت الجنيّة لحظة .. ثم قالت له بنبرة آمرة :

– « غداً سوف تبدأ الذهاب إلى المدرسة »

أصبح بينوكيو فى الحال أقل سعادة .

– « ثم يجب أن تختار حرفة أو عملاً وفقًا لرغبتك » أصبح بينوكيو شديد الأسى .

– « ما الذى تتمتم به من بين أسنانك ؟ »

سألته الجنيّة فى صوت غاضب .

– « كنت أقول إنه يبدو لى أن الأوان قد فات بالنسبة للذهاب إلى المدرسة ...»

– « لا يا ولدى ، ضع فى عقلك أن الأوان لا يفوت أبداً لكى نتعلم »

- « لكنى لا أريد أن أتعلم صنعة أو حرفة »

- « لماذا ؟»

- « لأننى أتعب من العمل »

- « يا ولدى » قالت الجنيّة « الذين يتحدثون بهذه الطريقة ينتهون دائمًا : إما إلى السجن أو فى المستشفى . دعنى أقول لك إن كل إنسان ، سواء كان فقيراً أم غنيًا ، مضطر إلى عمل شىء ما فى هذه الدنيا ليشغل نفسه . الويل لأولئك الذين يعيشون حياة كسولة . الكسل مرض مخيف يجب علاجه على الفور فى الطفولة ، وما لم يتم ذلك ، فعندما نصبح كباراً نصبح كسالى بطريقة مزرية .»

دغدغت الكلمات مشاعر بينوكيو ، فرفع رأسه بسرعة قائلاً للجنيّة :

- « سوف أدرس وسوف أعمل وسوف أفعل كل ما تقولينه لى ، فقد أصبحت متعباً حقًا من كونى تمثالا وأرغب فى أن أصبح ولدًا بأى ثمن . لقد وعدتنى بذلك ، ألم تفعلى ؟»

- « لقد وعدتك فعلاً ، والأمر يتوقف الآن عليك »

الفصل السادس والعشرون

بينوكيو يرافق زملاء المدرسة إلى شاطئ البحر لرؤية كلب البحر الرهيب

في اليوم التالي ، ذهب بينوكيو إلى المدرسة الحكومية .

كانت سعادة التلاميذ الصغار فوق كل وصف عندما شاهدوا تمثالاً يدخل مدرستهم . أطلقوا عاصفة من الضحك ومارسوا معه كل أنواع المزاح . أحد الاولاد نزع عنه قلنسوته ، وآخر سحب صديريته من الخلف، وثالث حاول أن يرسم له بالحبر شنبين تحت أنفه ، وآخر حاول وضع خيوط لقدميه ويديه ليجعله يرقص . ولمدة قصيرة تظاهر بينوكيو بعدم الاهتمام واستمر – بقدر إمكانه – طبيعياً ، ولكن أخيراً فقد صبره تماماً وانقلب على الذين يضايقونه بصورة كبيرة ويعاملونه كأنه دمية ، وقال لهم وهو يبدو فى أشد صور الغضب :

– « احترسوا ، أيها الأولاد ، فأنا لم آت إلى هنا لأصبح بلياتشو . أنا احترم الآخرين وأعتزم أن أكون محترماً »

– « جميل ما تقول ، أيها المدعي . لقد تكلمت وكأنك كتاب » وعاد الصغار يضحكون ضحكات مجنونة . مد واحد منهم – كان أكثرهم

سوءاً – يده ليمسك التمثال من طرف أنفه . ولكن بينوكيو مد ساقه" للخارج من تحت المنضدة وضربه بعنف فى ذقنه .

– « أوه ، ما أصلب هذه القدم » صاح الولد وهو يفرك مكان اللكمة « وما أشد الكوع .. إنه أصلب من قدمه » صاح ولد آخر أصابته ضربة فى بطنه جزاء مقالبه السخيفه .

ولكن الضربة واللكمة أكسبت بينوكيو تعاطف وتقدير كل الأولاد بالمدرسة . أصبحوا جميعًا أصدقاءه وأحبوه من القلب . حتى المدرس مدحه لأنه وجده منصتًا ومقبلاً على التعلم وذكيًا فهو كان دائمًا أول من يصل للمدرسة وآخر من يغادرها عندما ينتهى اليوم الدراسى ، لكنه ارتكب غلطة واحدة ؛ فقد صادق الكثيرين جداً ومن بينهم العديد من الأوغاد الصغار المعروف عنهم كراهيتهم للتعلم وحبهم للعب .

حذره المدرس وحتى الجنيّة الطيبة لم تمل من أن تقول له وتكرر باستمرار :

– « خذ حذرك يا بينوكيو : إن رفاق المدرسة البلداء سوف ينتهى الأمر بهم بأن يجعلوك تفقد الحب للدراسة وربما تسببوا لك فى بعض المشاكل الكبيرة »

– « لا خوف من ذلك » أجاب التمثال هازًا كتفيه ولامسًا جبهته كما لو أنه يقول لها « يوجد هنا الكثير جداً من العقل »

لكن حدث ذات يوم وبينما كان بينوكيو فى طريقه للمدرسة أن قابل عدداً من رفاق المدرسة الذين جاءوا إليه قائلين :

– « هل سمعت الأخبار العظيمة ؟»

– « لا »

– « فى البحر بالقرب من هنا ظهر كلب بحر ضخم كأنه جبل » .

– « حقًا ؟ هل يمكن أن يكون كلب البحر نفسه الذى كان هناك عندما غرق أبى المسكين ؟»

– « نحن ذاهبون إلى شاطئ البحر لرؤيته . هل ستأتى معنا ؟»

– « لا ، إننى ذاهب للمدرسة »

– « ما أهمية المدرسة ؟ يمكننا الذهاب غداً للمدرسة ، فسواء أخذنا دروساً أكثر أو دروساً أقل ، سنظل أغبياءً لا نفهم شيئًا »

– « ولكن ماذا سيقول المدرس ؟»

– « يمكن للمدرس أن يقول ما يحب . هو يتلقى الأجر بغرض أن يشكو طوال اليوم »

– « وماذا عن أمى ؟»

– « الأمهات لا يعرفن شيئًا » أجاب الأولاد الصغار البلداء .

– « أتعرفون ماذا سأفعل ؟» قال بينوكيو : « إن عندى الأسباب التى تجعلنى أرغب فى رؤية كلب البحر ، ولكنى سأذهب لرؤيته عندما ينتهى اليوم المدرسى »

- « أيها الحمار المسكين » صاح واحد منهم « هل تعتقد أن سمكة بهذا الحجم سوف تنتظر ما يناسبك ؟ ربما يمكث قليلاً هنا ثم يبدأ فى البحث عن مكان آخر وسيكون الوقت قد فات »

- « ما المدة التى تستغرقها الرحلة من هنا إلى شاطئ البحر ؟» سأل التمثال.

- « يمكننا الذهاب والعودة فى أقل من ساعة »

- « إذن فلنذهب ولنتسابق كلنا حتى نصل إلى هناك » .

وعندما أطلق إشارة البدء ، اندفع الاولاد بكتبهم تحت آباطهم عبر الحقول ، وكان بينوكيو أسرعهم ويجرى بسرعة كما لو كانت له أجنحة فى قدميه .

ومن وقت لآخر كان يلتفت وراءه لينظر إلى رفاقه الذين كانوا متأخرين عنه بمسافة ، وعندما رأى أنهم يلهثون وقد غطاهم التراب وتدلت ألسنتهم خارج أفواههم ، ضحك من قلبه . لكنه لم يكن يتوقع ما سيصادفه من مشاكل كبيرة .

الفصل السابع والعشرون

معركة كبرى بين بينوكيو ورفاقه ، وأحدهم يُجرح وبينوكيو تعتقله الشرطة

عندما وصل إلى الشاطئ ، نظر بينوكيو إلى البحر ، ولكنه لم ير كلب البحر .. كان البحر هادئًا كمرآة بلورية ضخمة .

- « أين كلب البحر ؟» سأل ملتفتًا إلى رفاقه .

- « لابد وأنه قد ذهب لتناول إفطاره » رد أحدهم ضاحكًا .

- « أو قذف بنفسه على الفراش ليغفو قليلاً » قال آخر ضاحكًا بصوت عال .

من إجاباتهم اللامعقولة وضحكاتهم السخيفة ، أدرك بينوكيو أن رفاقه استخفوا به وجعلوه يصدق قصة ليست حقيقية فاغتاظ وقال غاضبًا :

- « الآن هل لى أن أعرف ما هى المتعة فى أن تخدعوننى بقصة كلب البحر ؟»

- « آه ، لقد كانت متعة عظيمة » أجاب الأوغاد الصغار .

- « وما طبيعة هذه المتعة ؟»

- « في أن نجعلك تتخلف عن المدرسة ، وأن نقنعك بالقدوم معنا . ألا تخجل من أن تكون دائمًا مواظبًا وحريصًا على دروسك ؟ ألا تخجل من العمل بهذه الجدية ؟! »

- « وإذا ما ذاكرت بجدية ، فما دخلكم ؟»

- « إن هذا يهمنا بشدة ؛ لأنه يجعلنا نظهر بصورة سيئة »

- « لماذا ؟»

- « لأن الأولاد المواظبين على دروسهم يجعلون الذين لا يرغبون في التعلم مثلنا ، يظهرون سيئين جدًا بالمقارنة بهم . وهذا أمر غير مقبول ، فنحن لنا كرامتنا أيضًا »

- « إذن ماذا أفعل لأسعدكم ؟»

- « لابد وأن تحذو حذونا وتكره المدرسة والدروس والمدرس . إنهم أعداؤنا الثلاثة الكبار »

- « وإذا ما كنت أرغب في الاستمرار في دراستي ؟»

- « في هذه الحالة لن يكون لنا علاقة بك ، وعند أول فرصة سوف نجعلك تدفع ثمن ذلك »

- « حقا » قال التمثال هازًا رأسه « أنتم تجعلونني أرغب في الضحك »

– « بينوكيو » صاح أكبرهم حجمًا موجِّهًا له « لا تتعال علينا ... إنك لم تأت إلى هنا لتتباهى علينا ، وإذا لم تكن خائفًا منا ، فنحن لا نخافك . وتذكر أنك واحد فى مواجهة سبعة »

– « سبعة ، كالذنوب السبعة المميتة » قال بينوكيو ضاحكًا .

– « أنصتوا إليه لقد أهاننا جـ يعـًا . لقد دعانا الذنوب السبعة المميتة »

– « بينوكيو ... اعتذر .. وإلا أصابك سوء »

– « كوكو » صاح التمثال واضعًا إصبعه على طرف أنفه باستهزاء .

– « بينوكيو ! إن عاقبة ذلك وخيمة »

– « كوكو »

– « سوف يصيبك من الضرب ما يصيب حمار »

– « كوكو »

– « سوف تعود إلى البيت بأنف مكسورة »

– « كوكو »

– « إذن ، لسوف يأتيك الكوكو منى » صاح أشجع الأولاد « خذ هذه كبداية واحتفظ بها لعشائك»

وقام بتوجيه لكمة بقبضته إلى رأسه ، ولكن التمثال لم يسكت ولكمه في الحال وصارت المعركة في التو عامة وصاخبة .

ورغم أن بينوكيو كان واحداً في مواجهتهم فقد دافع عن نفسه كالبطل واستخدم قبضته التي كانت من الخشب الصلب في الدفاع عن نفسه فابتعدوا عنه ، فما يكاد أن يلمسهم بها إلا وتترك فيهم في الحال علامة حمراء شديدة الإيلام .

استشاط الأولاد غضبًا من كونهم غير قادرين على التغلب على التمثال ، فتحولوا إلى سلاح آخر ، فقد قاموا بفتح حقائبهم وبدأوا في قذف كتب المدرسة عليه ، ولكن بينوكيو كان سريعاً وحاد العين وتمكن دائمًا من تفادي الكتب في اللحظة المناسبة ؛ بحيث كانت تمر من فوق رأسه وتسقط في البحر .

اعتقد السمك أن الكتب شيئًا يؤكل ووصلوا في أسراب ، ولكن ما إن تذوقوا صفحة أو اثنتين أو قطعة من غلاف كتاب ، حتى لفظوها بسرعة .

كانت المعركة قد اشتد وطيسها ، حين أقبل سرطان البحر ، وكان قد خرج لتوه من الماء ، وصاح بصوت جهير خشن كما لو كان مصابًا بالبرد :

- « توقفوا عن ذلك أيها الأوغاد الصغار ؛ لأنكم لستم سوى ذلك . إن المعارك التي تدور بالأيدي بين الأولاد لا تنتهي عادة بصورة طيبة . لابد وأن تقع كارثة »

كان وكأنه يتكلم مع الريح ، حتى الوغد الصغير بينوكيو استدار ونظر إليه بسخرية وقال بوقاحة :

- « أمسك لسانك أيها السرطان الوقح ، من الأفضل لك أن تشرب بعض الدواء لتعالج زورك المصاب بالبرد »

عندئذ نظر الأولاد الذين لم يعد لديهم كتبًا ليلقوها إلى شنطة كتب بينوكيو واستحوذوا عليها بسرعة .

كان بين الكتب واحداً مغلفًا بالكرتون بالجلد على الحواف والقاعدة . كان كتاب مسائل فى الحساب ، أمسك أحد الأولاد بهذا الكتاب وقذفه ناحية رأس بينوكيو ، بكل ما استطاع من قوة ، ولكن بدلاً من أن يصيب التمثال ، أصاب أحد رفاقه فى جبهته ، والذى استحال لونه أبيض كالثلج وقال :

- « أوه ، يا أمى ، النجدة ... أنا أموت » وسقط بكامل طوله على الرمال ، جرى الأولاد مذعورين بعيداً بكل القوة التى تستطيعها سيقانهم معتقدين أنه قد مات وفى لحظات قليلة غابوا عن النظر .

ولكن بينوكيو ظل فى مكانه . ورغم أنه كاد أن يسقط مغشيًا عليه من الخوف والأسى ، إلا أنه قام وغمس منديله فى ماء البحر وبدأ فى مسح جبهة زميله المسكين الذى كان فاقداً لوعيه .

- « إيوچين ... إيوچين المسكين ... افتح عينيك وانظر إلىّ .... لماذا لا تجيب ؟ أنا لم أفعل ذلك ! بالتأكيد لم أكن أنا من أصابك،

صدقنى .. لم أكن أنا ... افتح عينيك يا إيوچين .. إذا ظلت عيناك مغلقتين فسوف أموت أنا أيضًا ... أوه ، ماذا أفعل ؟ كيف سأعود للبيت مرة أخرى ؟ كيف ستكون لى الشجاعة للعودة إلى أمى الطيبة ؟ ماذا سيحدث لى ؟ .. إلى أين يمكننى الهرب ! ... كم كان من الأفضل ألف مرة لو كنت قد ذهبت إلى المدرسة ... لماذا سمعت كلام زملائى ؟ لقد كانوا سبب متاعبى ، لقد قال لى المدرس وقالت لى أمى « احترس من رفاق السوء » ولكنى كنت عنيدًا وغبيًا .. تركتهم يتكلمون ثم سلكت دائمًا طريقى الخاص .. وعانيت من ذلك ومنذ أن جئت إلى هذا العالم ، لم أحظ بربع ساعة من السعادة : آه ، يا إلهى ما الذى سأصير إليه ، ما الذى سأصير إليه ؟!»

بدأ بينوكيو فى البكاء والنحيب ، وأخذ يضرب رأسه بقبضتيه وينادى على إيوچين المسكين ، وفجأة سمع صوت أقدام تقترب .

التفت ورأى اثنين من رجال الشرطة .

- « ما الذى تفعله هناك ؟» صاحا فى بينوكيو بصوت أجش .

- « أساعد زميلى فى المدرسة »

- « هل أصابه مكروه ؟»

- « يبدو ذلك »

- « أصيب بالتأكيد » قال أحد الشرطيين ، منحنيًا لأسفل وفاحصًا إيوچين .

- « هذا الولد مجروح فى جبهته ، من الذى جرحه ؟»

- « لست أنا » أجاب التمثال ..

- « إذا لم يكن أنت فمن إذن ؟»

- « لست أنا » كرر بينوكيو .

- « وبأى شىء جُرح ؟»

- « بهذا الكتاب » والتقط بينوكيو من على الأرض كتاب الحساب المغلف بالكرتون والجلد وأراه للشرطيين .

- « ومن صاحبه ؟»

- « أنا صاحبه »

- « هذا يكفى . لا يحتاج الأمر لمزيد . قف وتعال معنا فى الحال »

- « ولكنى برئ »

- « تعال معنا »

- « ولكنى برئ »

- « تعال معنا »

قبل أن يغادرا ، نادى الشرطيان على صيادين كانوا يمرون فى تلك اللحظة بالقرب من الشاطئ فى زورقهم قائلين لهم :

- « سنودع هذا الولد الذى أصيب بجرح فى رأسه فى عهدتكم . احملوه إلى بيتكم وعالجوه ، وفى الغد سوف نجىء لرؤيته »

ثم التفتا إلى بينوكيو ، ووضعاه بينهما قائلين له بصوت آمر :

- « تقدم وسر بسرعة وإلا أصابك أسوأ ما تتخيل »

ودون أن يتطلب الأمر تكرار ذلك ، سار التمثال عبر الطريق المؤدية إلى القرية ، ولكن بينوكيو الصغير المسكين لم يكن يعرف أين هو . ظن أنه يحلم حلم مخيف ، اشتد خوفه وارتعشت ساقاه والتصق لسانه بسقف فمه ، ولم يكن باستطاعته النطق بكلمة . كان الحزن يمزق قلبه ؛ لأنه حتمًا سيمر عند نوافذ بيت الجنيّة الطيبة وهو محاط بالشرطيين ، وتمنى أن يموت .

ما إن وصلوا إلى القرية حتى أطاحت ريح شديدة بقلنسوة بينوكيو من على رأسه وقذفت بها لمسافة قريبه :

- « هل تسمحان لى » أن أذهب لاستعادة القلنسوة ؟» قال التمثال للشرطيين .

- « اذهب وكن سريعًا »

ذهب التمثال والتقط قلنسوته .. ولكن بدلاً من أن يضعها على رأسه أخذها بين أسنانه وبدأ فى الجرى بكل قوته فى اتجاه شاطئ البحر .

فكر الشرطيان فى أنه سيكون صعبًا أن يسبقاه ، فأرسلا ورائه كلبًا كبيرًا كان قد فاز بالجائزة الأولى فى سباقات الكلاب . كان يجرى بسرعة ، ولكن الكلب جرى أسرع منه . وتجمع الناس فى الطريق ليروا نهاية هذا السباق المحموم . ولكنهم لم يشبعوا فضولهم ؛ لأن بينوكيو والكلب اختفيا فى سحابة من التراب حتى لم يكن من المستطاع رؤية أى منهما .

الفصل الثامن والعشرون

بينوكيو يخشى أن يتم قليه فى المقلاة كالسمكة

جاءت لحظة فى هذا السباق المحموم ظن فيها بينوكيو أنه هالك ؛ فالكلب أليدورو - وهذا اسمه - جرى بسرعة كبيرة اقترب معها من بينوكيو .

كان بإمكان التمثال أن يسمع أنفاس الوحش المخيف وهو يزأر خلفه ، لم يكن يفصله عنه شبر حتى إنه كان يحس بأنفاسه الملتهبة . لكن لحسن الحظ كان الشاطئ قريب والبحر على بعد خطوات .

ما إن وصل إلى حافة الماء ، حتى قفز قفزة هائلة أفضل من ضفدعة ، وسقط فى الماء .

أما الكلب أليدورو فعلى العكس كان يريد التوقف ، ولكنه كان مدفوعًا بالسباق المحموم ووجد نفسه فى البحر . لم يكن باستطاعة الكلب سيئ الحظ أن يعوم ، ولكنه قام بمجهود كبير لكى يبقى طافيًا وكان كلما صارع الماء غاص أكثر .

عندمـا طفـا إلى السطـح مـرة أخـرى كـانت عـينـاه تـدوران فزعًا ونبح عـاليًا « إنى أغرق ، إنى أغرق »

- « اغرق إذن » صـاح بينوكـيو من بعـيـد وقد أحـس أنه بمأمن من الخطر .

- « ساعدنى يا بينوكيو العزيز ... أنقذنى من الموت »

عند هذه الصيحة الملتاعة ، تحركت فى قلبه مشاعر الرحمة والتفت إلى الكلب قائلاً : « لو أنقذت حياتك ، هل تعدنى بعدم مضايقتى مرة أخرى وألا تطاردنى ؟»

- « أعدك ، أعدك . أسـرع أرجوك لأنك لو تأخـرت دقـيـقة أخـرى سوف أهلك »

تردد بينوكيو ، ولكنه تذكر أن والـده قال لـه إن العمـل الطـيب لا يضيع أبداً فسبح إلى أليدورو وأمسك بذيله بكلـتا يديـه وقام بجره إلى الشاطئ .

لم يستطع الكلب المسكين الوقوف . فقد شرب الكثير من الماء حتى انتفخ كالبالون ؛ ولأن التمثال لم يكن يثق فيه أكثر مما ينبغى ، رأى أن من الحكمـة أن يعود مـرة أخرى إلى الماء . وعندما سـبح لمسافة طويلة بعيداً عن الشاطئ ، نادى على صديقه قائلاً :

- « إلى اللقاء يا أليدورو ، رحلة موفقة لك وتمنياتى لكل من بالبيت »

- « إلى اللقاء يا بينوكيو » أجاب الكلب « ألف شكر لإنقاذك حياتى لقد قدمت لى خدمة عظيمة، وفى هذه الدنيا ما تقدمه من عمل كريم يعود إليك ، ولن أنسى ذلك لك »

سبح بينوكيو محتفظًا بقربه من الأرض ، حتى ظن أنه قد وصل إلى مكان آمن . نظر إلى الشاطئ ورأى بين الصخور كهفًا تخرج منه سحابة من الدخان . « فى هذا الكهف » قال لنفسه « لابد أن هناك نارًا سوف أذهب لأجفف نفسى وأدفئها ثم ... ثم سوف نرى »

بعد أن قرر ذلك ، تقدم إلى الصخور ، ولكنه عندما حاول أن يتسلقها ، أحس بشىء تحت الماء يعلو ويعلو ويحمله فى الهواء . حاول الهرب ، ولكن الأوان كان قد فات ؛ لأنه - ولدهشته العظيمة - وجد نفسه محاطًا بشبكه كبيرة ، ومعه كوكبة من السمك من كل حجم وشكل ، كانت تتثنى وتقاوم مقاومة اليائسين .

فى تلك اللحظة ، خرج صياد من الكهف وكان قبيحا جدًا وشديد القبح لدرجة أنه كان يشبه وحش البحر ، فبدلاً من الشعر كان رأسه مغطىً بعشب أخضر كثيف وجلده شديد الخضرة وعيناه خضروان ، وذقنه الطويلة التى تكاد تصل إلى الأرض كانت أيضًا خضراء . كان له مظهر السحلية الضخمة التى تقف على مخالبها الخلفية .

عندما سحب الصياد شبكته من البحر ، تنهد بارتياح :

- « شكرًا للسماء ! اليوم سوف يكون عيد فالصيد وفير »

– « يا لها من رحمة ، إنني لست بسمكة » قال بينوكيو لنفسه مستعيداً قليلاً من الشجاعة.

حمل الصياد شبكته الممتلئة بالسمك إلى داخل الكهف الذى كان مظلمًا ومليئًا بالدخان. فى منتصف الكهف كانت مقلاة ضخمة مليئة بالزيت المغلى ترسل رائحة كريهة خانقة .

– « الآن سوف نرى ماذا أمسكنا من السمك اليوم » قال الصياد الأخضر دافعًا يده إلى داخل الشبكة مخرجًا حفنة من سمك البورى .

– « هذا البورى طيب » قال ناظراً إليه ومتشممًا له . وبعد أن تشممه ألقى به فى المقلاة . كرر ما فعل عدة مرات ، وكان كلما أخرج السمك ابتلع ريقه وقال مبتهجًا :

– « ما أطيب البياض »

– « ما ألذ السردين »

– « ما أطعم سمك موسى »

– « وسرطان البحر الممتاز »

– « وتلك الأنشوجة الصغيرة العزيزة »

وكان يقذف بأسماك البياض والسردين وسمك موسى وسرطان البحر والأنشوجة فى المقلاة لتكون فى صحبة البورى .

كان آخر من تبقى فى الشبكة هو بينوكيو . ما إن أخذه الصياد من الشبكة حتى فتح عينيه الخضراوين الكبيرتين بدهشة وصاح وهو نصف خائف :

– « ما هذا النوع من السمك ! لا أتذكر أننى أكلت هذا النوع أبداً ؟»

نظر إليه بتأمل مرة أخرى ، وبعد أن قلّبه فى يده قال :

– « أنا أعرف ، لابد وأنه كركند الماء »

أصاب بينوكيو الرعب عند سماعه كلمات الصياد ، وقال بصوت غاضب :

– « هل تعتقد أننى سمكة كركند .. ما هذه المعاملة ؟ دعنى أقول لك إننى تمثال »

– « تمثال ؟ يا إلهى .. لأقول الحق ، التمثال هو سمكة جديدة بالنسبة لى ، سوف آكلك بسرور عظيم »

– « تأكلنى ! ولكن هل تفهم أننى لست بسمكة ! ألا ترى أننى أتحدث إليك وأتحاور معك ؟ »

– « هذا صحيح تماماً » قال الصياد ، « ولأننى أرى أنك سمكة لها القدرة على التحدث والتحاور ، فسوف أعاملك بكل الاهتمام الذى تستحقه »

– « وما هو هذا الاهتمام ؟»

- « كدليل على صداقتي واعتبارى الخاص سوف أترك لك الحرية فى أن تختار الطريقة التى تريد أن تُطهى بها ، هل تفضل أن تقلى فى المقلاة ، أو تفضل أن تطبخ مع صلصة الطماطم ؟!»

- « إذا كان لى خيار ، فأفضل أن تطلق سراحى لأعود للبيت »

- « هل تمزح ! هل من المعقول أن أفقد فرصة تذوق سمكة نادرة مثلك ؟ لم يحدث أبداً أن اصطدت سمكة تمثال فى هذه المياه ، اترك الأمر لى ، سوف أقليك فى المقلاة مع باقى السمك وسوف تكون مسروراً . إنه عزاء لك أن تُقلى فى جماعة »

عند هذا الحديث بدأ بينوكيو التعيس فى البكاء والصراخ وطلب الرحمة وقال من بين عبراته :

- « كم كان الأفضل لو أننى كنت قد ذهبت إلى المدرسة .. لقد استمعت إلى رفاق السوء والآن أدفع ثمن ذلك .. هئ .. هئ »

تلوى كالثعبان وقام بمجهود خرافى للانزلاق من قبضة الصياد الأخضر . ولكن بلا فائدة ، فقد أخذ الصياد حزمة من القش المتين وقيد يديه وقدميه كما لو كان قطعة سجق ، وقبل أن يقذف به إلى المقلاة مع غيره من السمك بحث عن وعاء خشبى ملىء بالدقيق وبدأ فى غمس كل واحدة فى الدقيق بالدور ، وما إن أصبح جاهزاً قذف به إلى المقلاة .

أول من رقص فى الزيت المغلى كان البياض المسكين ، وتبعه سرطان البحر ثم السردين ثم سمك موسى والأنشوجة وأخيراً حان

دور بينوكيو . وعندما رأى نفسه قريبًا من الموت اشتد خوفه وارتعد بعنف ، ولم يعد له صوت ولا نفس ، ولكنه استرحم الصياد بنظرات عينيه . لكنه لم يحفل به وقلَّبه أربع أو خمس مرات فى الدقيق حتى أصبح أبيض من رأسه لقدمه وكأنه تمثال من الجبس. أخذه بعد ذلك من يده ثم ...؟؟!

الفصل التاسع والعشرون

بينوكيو يعود إلى بيت الجنّيّة وتعده أنه في اليوم التالي لن يكون تمثالاً وسيصبح ولدًا . إفطار من القهوة واللبن للاحتفال بهذا الحدث العظيم

لحظة أن كان الصياد على وشك أن يقذف إلى المقلاة ببينوكيو ، دخل كلب ضخم إلى الكهف ، وقد جذبته الرائحة الشهية للسمك المقلى .

– « اخرج من هنا » صاح الصياد للكلب وقد أمسك بالتمثال المغطى بالدقيق فى يده ، ولكن الكلب المسكين كان جائعًا كالذئب فهز ذيله :

– « أعطنى بعض السمك وسوف أذهب فى سلام »

– « اخرج من هنا » صاح الصياد ثانية وقد مد ساقه ليرفسه ، ولكن الكلب الذى كان جائعًا لم يأبه بتلك الأمور الصغيرة والتفت نحوه وهو يزأر مكشرًا عن أنيابه .

فى تلك اللحظة سمع صوتًا خافتًا فى الكهف يقول بتوسل :

– « أنقذنى يا أليدورو .. إذا لم تنقذنى فسوف أموت مقليًا »

تعرّف الكلب على صوت بينوكيو ووجد أن الصوت قادم من حفنة الدقيق التى فى يده . وفى التو قام بالقفز على الصياد ووضع بينوكيو

فى فمـه وظل ممسكًا به بلطف بين أسنانه واندفع خـارجًـا من الكهف واختفى كأنه شعاع من البرق .

كان الصياد غاضبًا بشدة ؛ لأنه فقد سمكة كان مشتاقًا لأكلها ، فجرى وراء الكلب ، ولكنه بعد عدة خطوات انتابته نوبة من السعال أرغمته على التخلى عن مطاردته .

عندما وصل أليدور إلى الطريق المؤدية إلى القرية توقف ووضع صديقه بينوكيو بلطف على الأرض .

- « كم أود أن أشكرك »

- « لا ضرورة لذلك » أجاب الكلب : « لقد أنقذتني والآن أرد لك صنيعك . أنت تعرف أننا يجب أن نساعد بعضنا البعض فى هذه الدنيا »

- « ولكن كيف جئت إلى الكهف ؟»

- « كنت راقدًا على الشاطئ ، ميتًا أكثر من كوني حيًا عندما جاءت الريح إلىّ برائحة السمك المقلى ، ونبهت الرائحة شهيتى فتتبعت مصدرها . لو كنت وصلت بعد ذلك بثانية لأدركتك فى المقلاة »

- « لا تذكر ذلك » زأر بينوكيو الذى كان لا يزال يرتعد خوفًا «لا تذكر ذلك . إن مجرد تفكيرى فى ذلك يجعلنى أرتعد »

ضحك أليدورو ومدّ مخلبه الأيمن للتمثال الذى صافحه من القلب علامة على الصداقة العظيمة ، ثم ذهب كل منهما لحال سبيله .

أخذ الكلب طريقه إلى البيت تاركًا بينوكيو وحيداً فاتجه الآخر إلى كوخ ليس ببعيد أمامه رجل عجوز قصير كان ممدداً ويدفئ نفسه في الشمس .

– « قل لي أيها الرجل الطيب ، هل تعرف أي شيء عن ولد مسكين يدعى إيوچين كان قد جرح في رأسه ؟»

– « لقد أتى بعض الصيادين بهذا الولد إلى الكوخ ، والآن ... »

– « والآن هو ميت » قاطعه بينوكيو بأسف عظيم .

– « لا ، إنه حيّ ، وعاد إلى بيته »

– « حقًا ، حقًا ؟» صاح التمثال وهو يرقص من الفرحة « إذن لم يكن الجرح خطيراً ؟»

– « كان من الممكن أن يصير خطيراً وحتى مميتًا » أجاب الرجل العجوز « لأنهم قذفوا بكتاب سميك الغلاف على رأسه »

– « ومن قذفه عليه ؟»

– « واحد من زملائه في المدرسة يدعى بينوكيو »

– « ومن هو هذا البينوكيو ؟» سأله التمثال مدعيًا الجهل .

– « إنهم يقولون إنه ولد سيئ ، متشرد ، عديم النفع »

– « افتراء ، كله افتراء »

– « هل تعرف بينوكيو هذا ؟»

- « أعرف شكله فقط » أجاب التمثال .

- « وما رأيك فيه ؟» سأل الرجل العجوز ..

- « إنه يبدو لى ولدًا طيبًا ، شغوفًا بالتعلم ومطيعًا ومحبًا لأبيه وأسرته »

بينما التمثال يطلق هذه الأكاذيب ، لمس أنفه وأدرك أنها قد طالت لأكثر من شبر ؛ ولأنه أصبح حذرًا من ذلك بدأ فى البكاء قائلاً :

- « لا تصدق أيها الرجل الطيب ما قلته لك . أنا أعرف بينوكيو جيدًا وأؤكد لك أنه ولد سيئ ، غير مطيع وكسول ، فهو بدلاً من أن يذهب للمدرسة يهرب مع رفاقه ليلعب »

لم يكد ينتهى من الكلام حتى قصرت أنفه وعادت إلى حجمها الذى كانت عليه سابقًا .

- « لكن لماذا أنت مغطى هكذا باللون الأبيض ؟» سأله العجوز ..

- « كنت ماشيًا ولم أنتبه لجدار كان مطليًا باللون الأبيض واحتككت به » أجاب التمثال، وقد أحس بالخجل من الاعتراف بأنه وضع فى الدقيق كالسمكة لقليه فى المقلاة .

- « وماذا فعلت بصديريتك ، وبنطلونك ، وقلنسوتك ؟»

- « قابلنى بعض اللصوص فأخذوها منى » ثم نظر فى عين العجوز وقال بأدب :

- « قل لى أيها العجوز الطيب ، هل تستطيع أن تعطينى بعض الملابس لأعود بها للبيت؟»

- « يا ولدى ، بالنسبة للملابس ، ليس عندى سوى جوال أحتفظ فيه ببعض الفول إذا رغبت فيه خذه ، ها هو »

لم ينتظر بينوكيو بل أخذ الجوال فى التو وقطع بالمقص فتحة عند نهايته وعند كل جانب منه ولبسه كقميص . وانطلق إلى القرية .

لكنه كان كلما سار أحس بأنه غير مرتاح ، فهو لكى يخطو خطوة للأمام كان يخطو خطوة إلى الوراء قال لنفسه :

- « كيف سأقدم نفسى هكذا للجنيّة الطيبة الصغيرة ؟ ماذا ستقول عندما تراني هل ستسامحني لهروبى مرة أخرى ؟ أراهن أنها لن تسامحنى ! ، أنا متأكد أنها لن تسامحنى لأنى متشرد ، دائمًا ما أعد بتصحيح نفسى ولا أفى بوعدى أبداً »

عندما وصل إلى القرية كان الليل قد حلّ والظلام حالك ، هبت عاصفة شديدة ممطرة ، وبينما المطر ينهمر فى زخات اتجه مباشرة إلى بيت الجنيّة ، وهو مصمم على أن يطرق الباب ، وآملاً أن يُسمح له بالدخول .

لكنه عندما وصل خانته شجاعته ، وبدلاً من أن يطرق الباب جرى بعيداً عشرين خطوة ، ثم عاد مرة أخرى إلى الباب ، ولكنه لم يستطع أن يقرر شيئًا ، ومرة ثالثة لم يجرؤ على طرق الباب . فى المرة الرابعة أمسك بمطرقة الباب ، وطرقها بخفه وهو خائف .

انتظـر وانتظـر .. وأخيراً بعد مرور نصف ساعة ، انفتحت نافذة في الطابق الأعلى ورأى بينوكيو قوقعة ضخمة على رأسها شمعه تنظر منها ، سألته :

- « من هناك في هذه الساعة ؟»

- « هل الجنيّة بالمنزل ؟» سأل التمثال .

- « الجنيّة نائمة ويجب عدم إيقاظها ، ولكن من أنت ؟»

- « إنه أنا »

- « ومن تكون ؟»

- « بينوكيو »

- « ومن هو بينوكيو ؟»

- « التمثال الذي يعيش في بيت الجنيّة »

- « آه ، لقد عرفت انتظرني سوف أنزل وأفتح الباب في الحال »

- « بسرعة لو أمكنك لأني أكاد أن أموت من البرد »

- « يا ولدي ، أنا قوقعة ، والقواقع لا تتعجل أبداً »

مرت ساعة ، فساعتان ، ولم يفتح الباب .. تشجع بينوكيو الذي كان مبتلاً بكامله ويرتعد من البرد ، وطرق الباب مرة أخرى ، وفي هذه المرة كان الطرق أشد .

عند الطرقة الثانية فتحت نافذة فى الطابق الأسفل وظهرت القوقعة نفسها فى النافذة وصاح بينوكيو من الشارع :

– « أيتها القوقعة الجميلة الصغيرة ، لقد انتظرت لساعتين ، وساعتين فى مثل هذه الليلة السيئة أطول من سنتين . أسرعي رحمة بى »

– يا ولدى أنا قوقعة ، والقواقع لا تتعجل أبداً » ثم أغلقت النافذة ثانية .

بعد ذلك بقليل حل منتصف الليل ، ثم الساعة الواحدة ، والباب لا يزال مغلقاً .

فقد بينوكيو صبره ، فأمسك بالمطرقة يريد أن يطرق الباب بقوة ويهز البيت بكامله ، لكن المطرقة التى كانت من الحديد انقلبت فجأة إلى ثعبان ، وانسلت من يده واختفت فى طوفان الماء الذى يهطل وسط الطريق .

– « آه ، هل الأمر كذلك ؟» صاح بينوكيو وقد أعماه الغضب «حيث إن المطرقة قد اختفت ، سوف أركل الباب بكل قوتى »

أخذ خطوة للخلف ثم ركل باب البيت بكل قوته . كانت الركلة قوية لدرجة أن قدمه اخترقت الباب الخشبى وانحشرت فيه ، وعندما حاول أن يسحب قدمه لم يكن ذلك مجدياً ؛ لأنها ظلت محشورة فى الباب وعبثًا حاول أن يسحب قدمه المحشورة فى الباب .. لكن بلا جدوى .

كان مضطراً لإنفاق ما تبقى من الليل بقدم على الأرض والقدم الأخرى فى الهواء .

في صباح اليوم التالي وعند انبلاج الفجر انفتح الباب أخيراً . استغرق الأمر من القوقعة الصغيرة تسع ساعات لتنزل من الطابق الرابع إلى باب المنزل ، وكان من الواضح أن الجهد الذي بذلته كان عظيماً .

- « ما الذي تفعله بقدمك المغروس بالباب ؟» سألته ضاحكة ..

- « إنه حادث . حاولي أيتها القوقعة الجميلة أن تخرجي قدمي من هذا العذاب »

- « يا ولدي ، هذا عمل النجار وأنا لم أكن نجاراً أبداً »

- « استعطفي الجنيّة من أجلي »

- « الجنيّة نائمة ويجب عدم إيقاظها »

- « وماذا أفعل وأنا قد سمرت بالباب ؟»

- « سلي نفسك بأن تعد النمل الذي يمر بالشارع »

- « أحضري لي على الأقل شيئاً لآكله ؛ لأني مجهد تماماً »

- « في الحال » أجابت القوقعة .

بعد ثلاث ساعات ونصف عادت إلى بينوكيو حاملة صينية فضية على رأسها وعليها رغيف من الخبز ، ودجاجة مشوية وأربع حبات من المشمش .

- « هذا هو الإفطار الذي بعثت به الجنيّة لك » قالت القوقعة

أحس التمثال بالراحة العظيمة عند رؤيته لهذه الأشياء الطيبة ، ولكنه ما إن بدأ فى أكلها حتى كانت خيبة أمله كبيرة ، فقد اكتشف أن الخبز كان جبسًا والدجاجة من الكرتون والمشمشات الأربع كانت رخامًا مطليًا.

أحس بالرغبة فى البكاء وفى خضم يأسه فكر فى أن يلقى بالصينية وما عليها بعيداً ، ولكن قبل أن يفعل سقط مغشياً عليه .

عندما عاد لوعيه وجد أنه راقد على كنبة والجنيّة بجواره :

- « سوف أسامحك مرة أخرى » قالت الجنيّة « ولكن الويل لك إذا كان سلوكك شريراً مرة ثالثة »

وعد بينوكيو وأقسم أنه سوف يتعلم وسوف يجعل سلوكه طيباً .

وقد حافظ بينوكيو على كلمته لباقى السنة . فعندما عقدت الامتحانات كان له شرف أن يكون الأول على المدرسة ، وكان سلوكه بصفة عامة مُرضياً وجديراً بالثناء لدرجة أن الجنيّة كانت مسرورة جداً وقالت له :

- « سوف تتحقق أمنيتك غداً »

- « وما هى ؟»

- « فى الغد سوف لا تكون تمثالا من الخشب وسوف تصبح ولداً »

فرح بينوكيو فرحة شديدة لهذا الحظ الذى واتاه وطالما انتظره ، وقد تمت دعوة كل رفاق المدرسة فى اليوم التالى لإفطار فخم بمنزل الجنيّة للاحتفال بهذه المناسبة الكبيرة. كانت الجنيّة قد أعدت مائتين من أقداح من القهوة واللبن ، وأربعمائة قطعة من الكيك بالزبد .

وكان اليوم يبشر بسعادة وسرور عظيمين ، ولكن لسوء الحظ دائمًا ما توجد أشياء تفسد كل شىء .

الفصل الثلاثون

بينوكيو بدلاً من أن يصبح ولدًا ، يبدأ سرًا مع صديقه فتيل الشمعة رحلة إلى أرض الأغبياء

استأذن بينوكيو الجنّية لتسمح له بالمرور فى المدينة للقيام بتوزيع الدعوات ؛ وافقت الجنيه وقالت له :

– « اذهب إذا أردت وقم بدعوة رفاقك للإفطار غداً ، ولكن حاول أن تعود للبيت قبل حلول الظلام »

– « أعد بالعودة خلال ساعة » أجاب التمثال .

– « خذ حذرك يا بينوكيو ، الأولاد دائمًا ما يعدون ، ولكنهم عمومًا لا يحفظون وعودهم »

– « ولكنى لست كغيرى من الأولاد . عندما أقرر أمرًا فإننى أفعله »

– « سوف نرى . إذا عصيت أمرى فإن ذلك سوف يكون سيئًا لك »

– « لماذا ؟»

– « لأن الأولاد الذين لا يستمعون لنصيحة من يعرفون أكثر منهم ، دائمًا ما تقابلهم المشاكل »

- « لقد جربت ذلك وسوف لا أقع فى هذا الخطأ ثانية »

- « سوف نرى إذا ما كان ذلك صحيحاً »

ودون أن يقول المزيد استأذن التمثال من الجنيّة الطيبة التى هى فى مقام أمه ، وخرج لتوه من بيت الجنيّة وهو يغنى ويرقص .

فى أقل من ساعة كان قد مر على كل أصدقائه . بعضهم قَبل الدعوة مباشرة ، والبعض الآخر احتاج للإلحاح ، ولكن عندما سمعوا أن الكعك المعد للحفل مغطى بالزبد من وجهيه ، قالوا :

- « سوف نأتى لكى نزيدك سروراً »

كان من بين أصدقاء بينوكيو واحداً كان يفضله بصورة خاصة ويولع به . هذا الولد اسمه روميو ، ولكنه اشتهر باسم « فتيل الشمعة » لأنه كان نحيفًا جداً ولامعًا كفتيل الشمعه عندما تشتعل فى الليل .

كان فتيل الشمعة أكثر من فى المدرسة شغباً ، ولكن بينوكيو كان مولعًا به . فذهب إلى منزله فى الحال ليدعوه إلى الإفطار لكنه لم يجده . عاد إليه مرة أخرى ولكن فتيل الشمعة لم يكن هناك .

بحث عنه هنا وهناك وفى كل مكان وأخيراً وجده مختبئًا فى كوخ أحد الفلاحين .

- « ما الذى تفعله هنا ؟ » سأله بينوكيو عندما وجده .

- « أنتظر منتصف الليل »

– « لماذا ؟ إلى أين أنت ذاهب ؟»

– « بعيد جدا ، بعيد جدا »

– « أنا ذهبت إلى بيتك ثلاث مرات لأبحث عنك »

– « ماذا تريد منى ؟»

– « ألم تسمع بالحدث العظيم ؟ ألم تسمع عن حظى الطيب ؟»

– « ما هو ؟»

– « غداً لن أكون تمثالاً وسأصبح ولداً مثلك ومثل كل الأولاد الآخرين »

– « فليكن ذلك طيباً لك »

– « أريدك أن تفطر فى منزلى غداً »

– « ولكنى سأرحل الليلة ... »

– « عند أية ساعة ؟»

– « حالاً بعد قليل »

– « وأين ستذهب ؟»

– « سأذهب للعيش فى الريف .... أجمل ريف فى العالم : الأرض الحقيقية للمتعة »

– « وماذا تسمى ؟»

– « تسمى أرض الأغبياء ، لماذا لا تأتى معى ؟ »

– « أنا لايمكن »

– « أنت مخطئ يا بينوكيو . صدقنى ، سوف تندم إذا لم تأت معى »

« أين يمكن أن نجد بلاداً أفضل لنا نحن الأولاد ؟ لا توجد مدارس هناك ، لا يوجد مدرسون ، لا توجد كتب . فى هذه البلاد الجميلة لا أحد يتعلم . يوم الثلاثاء لا توجد مدارس ، والأسبوع عبارة عن ستة أيام ثلاثاء ويوم أحد . فكر جيداً ، إجازة الخريف تبدأ أول يناير وتنتهى آخر يوم فى ديسمبر . هذه هى البلاد التى تناسبنى . هكذا يجب أن تكون كل البلاد المتمدينة »

– « ولكن كيف يقضون أيامهم فى أرض الأغبياء ؟»

– « يقضونها فى اللعب والمرح من الصباح وحتى الليل . وعندما يأتى الليل تذهب إلى الفراش وتنام ثم تعاود الحياة نفسها فى الصباح ، هل هناك أفضل من ذلك ؟»

هز بينوكيو رأسه كما لو كان يقول « هذه هى الحياة التى أتوق أن أحياها »

– « حسن ، هل تذهب معى ؟ نعم أو لا ؟ حدد بسرعة »

– « لا ، لا ، لا ، ومرة أخرى لا . لقد وعدت الجنيّة الطيبة أن أصبح ولداً جيد السلوك وسأحافظ على وعدى . والآن ستغرب الشمس ويجب أن أتركك في الحال وأعود . إلى اللقاء ، ولتكن رحلة طيبة لك .»

– « إلى أين أنت ذاهب الآن ؟»

– « إلى البيت . الجنيّة الطيبة تريدنى أن أعود قبل حلول الظلام »

– « انتظر دقيقتين »

– « من الممكن أن أتأخر »

– « دقيقتان فقط »

– « وإذا غضبت الجنيّة ؟»

– « فلتغضب .. وماذا يهمك إذا هى غضبت ؟» قال الوغد فتيل الشمعة .

– « هل ستذهب بمفردك أو مع رفاق ؟»

– « سيكون معى أكثر من مائة ولد »

– « وهل ستقومون بالرحلة سيراً على الأقدام ؟»

– « سوف تمر الحافلة بعد وقت قصير ، وسوف تحملنا إلى تلك البلدة السعيدة »

– « كم أود أن تمر الحافلة الآن »

– « لماذا ؟»

– « لكى أراكم جميعا ترحلون معاً »

– « فلتمكث قليلاً وسوف ترانا »

- « لا ، لا ، يجب أن أعود للمنزل الآن »

- « انتظر دقيقتين أخريين »

- « لقد تأخرت بالفعل طويلاً . سوف تقلق الجنيّة عليّ »

- « يا للجنيّة المسكينة ! هل تخشى الجنيّة أن تأكلك الوطاويط ؟»

- « ولكن هل أنت متأكد من أنه لا توجد مدارس بتلك البلدة ؟» سأل بينوكيو ..

- « ولا واحدة »

- « ولا مدرسين ؟»

- « ولا واحد منهم »

- « ألا يرغم أحد على التعلم ؟ »

- « أبدًا ، أبدًا ، أبدًا »

قال بينوكيو وقد أحس بالغبطة :

- « ما أجمله من بلد ! أنا لم أذهب إلى هناك أبدًا ، ولكنى أستطيع أن أتخيله ...»

- « لماذا لا تأت أنت أيضًا ؟»

- « من غير المجدى أن تحاول إغرائى ، لقد وعدت الجنيّة الطيبة أن أصبح ولدًا طيبًا ، ولن أنكث بوعدى »

- « إلى اللقـاء إذن وبلِّغ تحـيـاتـى لكل الأولاد فى صـالة الألعـاب ، وإلى الأولاد بقاعة المحاضرات ، والأولاد الذين تقابلهم بالطريق »

- « إلى اللقاء يا فتيل الشـمعة ، رحلة سـعيدة ، أمتع نفسك وفكِّر فى أصدقائك »

بهـذا القـول أخـذ التـمـثـال أهبـتـه للذهـاب ، ولكنه توقف والتـفت لصديقه سائلاً :

- « ولكن هل أنت متـأكد تمامًا أن فى ذلك البلد كل الأسـابيع عبارة عن ستة أيام ثلاثاء ويوم أحد فقط ، ولا يوجد غير ذلك ؟»

- « متـأكد تمامًا »

- « وهل أنت متـأكد أن أيام العطلة تبدأ أول يناير وتنتـهى آخر يوم فى ديسمبر ؟»

- « متـأكد تمامًا »

- « مـا أجـمله من بلد ! » كـرر بينوكـيـو مـفـتـونًا ، ثم أضـاف بسرعة شديدة :

- « إلى اللقاء ولتكن رحلتك سعيدة »

- « إلى اللقاء »

- « متى ستبدأ الرحيل ؟ »

- « بعد قليل »

- « يا للخسارة ! لو كان رحيلك بعد ساعة لأغراني ذلك بالانتظار »

- « وماذا عن الجنيّة ؟! »

- « لقد تأخر الوقت بالفعل... إذا عدت إلي البيت ساعة مبكرًا أو ساعة متأخرًا لن يكون هناك فرق »

- « مسكين بينوكيو ! وإذا زجرتك الجنيّة ؟! »

- « لابد وأن أصبر . سوف أدعها تزجرني ، وسوف أتحمل زجرها لي »

كان الليل قد حل والظلام دامس ، فجأة رأيا على البعد ضوءًا يتحرك وسمعا ضجة صاخبة وصوت طبلة ..

- « ها هي » صاح فتيل الشمعة قافزًا على قدميه .

- « من ؟» سأل بينوكيو .

- « إنها الحافلة قد أتت لتأخذني . والآن هل ستأتي معي أو لا ؟»

- « ولكن هل من الحقيقي أنه في ذلك البلد لا يرغم الأولاد على التعلم ؟»

- « أبدًا ، أبدًا ، أبدًا »

- « ما أجمله من بلد ! ما أجمله من بلد ... ما أجمله من بلد ! »

صاح بينوكيو وهو في غاية السرور .

الفصل الحادى والثلاثون

بعد خمسة أشهر من الإقامة فى أرض الكوكان ، تنمو لبينوكيو أذنى حمار ويصير حمارًا صغيرًا له ذيل

أخيراً ، وصلت الحافلة دون أدنى جلبة ؛ لأن عجلاتها كانت ملفوفة بالكتان والخرق . كان يجرها اثنا عشر زوجًا من الحمير كلها بالحجم نفسه ، ولكن بألوان مختلفة : بعضها رمادى ، وبعضها أبيض ، وبعضها مبرقش ، وبعضها بخطوط صفراء وزرقاء .

ولكن الشىء الغير عادى أن الأربعة وعشرين حماراً بدلاً من أن يكون لهم حدوات مثل غيرها من الحيوانات ، كان بأقدامها أحذية رجال مصنوعة من الجلد .

أما الحوذى فكان رجلاً قصيراً عريضًا وأعرض من أن يكون له طول ، وناعمًا ككتلة من الزبد وله رأس صغيرة مستديرة كالبرتقالة ، وفم ضاحك باستمرار ، وصوت ناعم كصوت القطة .

وما إن رآه الأولاد حتى أحبوه وتنافسوا مع بعضهم على مقاعد الحافلة لكى يذهبوا إلى أرض الكوكان ، والتى تعرف فى الخريطة الجغرافية بأرض الأغبياء .

كانت الحافلة خاصة بالأولاد الذين تتراوح أعمارهم بين الثامنة والاثنى عشر عامًا ، كانوا متكومين واحداً فوق الآخر كالسردين فى العلبة . وغير مستريحين ويتنفسون بالكاد ، ولكن لم يكن أحد يشكو . كان العزاء لهم أنهم فى قليل من الساعات سوف يصلون إلى البلدة التى لا كتب فيها ولا مدارس ولا مدرسين ؛ مما جعلهم سعداء فلم يحسوا بالتعب أو بعدم الراحة ولا حتى بالجوع أو العطش أو الرغبة فى النوم .

وما إن امتلأت الحافلة بهم حتى التفت الرجل القصير لفتيل الشمعة بابتسامة وظرف وقال له :

– « قل لى يا ولدى الطيب : هل ترغب أيضًا فى الذهاب إلى تلك البلدة المحظوظة ؟»

– « أود أن أذهب بكل تأكيد »

– « ولكنى يجب أن أحذرك ، يا طفلى العزيز ، إنه لم يعد هناك مكان فى الحافلة . يمكنك أن ترى بنفسك أنها قد امتلأت تماماً »

– « لا يهم » رد فتيل الشمعة « إذا لم يكن هناك مكان بالداخل ، سوف أجلس على الجانب »

– « وأنت ، يا صغيرى » قال الرجل القزم ملتفتًا إلى بينوكيو « ماذا قررت ؟ هل ستأتى معنا أو ستبقى ؟»

– « سأبقى » أجاب بينوكيو « سوف أذهب للمنزل ، أنا قررت أن أتعلم ، وأن أكتسب صفات حميدة بالمدرسة كما يفعل كل الأولاد الطيبين »

– « ليكن ذلك خيراً لك »

– « بينوكيو ، اسمعنى » صاح فتيل الشمعة « تعال معنا وسوف نمرح معاً »

– « لا ، لا ، لا »

– « تعال معنا وسوف نمرح جميعًا » صاحت أربعة أصوات من داخل الحافلة .

– « تعال معنا وسوف نمرح جميعًا » صاحت مئات الأصوات من داخل الحافلة في صوت واحد .

– « ولكن إذا اتيت معكم ، ما الذى ستقوله الجنية الطيبة ؟» سأل التمثال الذى بدأ يستسلم .

– « لا تشغل بالك بأفكار مقبضة ، فكر فقط فى أننا ذاهبون إلى بلدة سنتحرر فيها ونلعب من الصباح حتى الليل » لم يجب بنيوكيو ، ولكنه تنهد ، ثم تنهد ثانية وثالثة وقال بصوت خافت :

– « أفسحوا لى مكانًا لأنى قادم معكم »

– « كل الأماكن مشغولة » رد الرجل القزم ، ولكن لكى تعرف كيف أننا نرحب بك ، سوف أترك لك مكانى على الصندوق »

– « وأنت ؟»

– « سأذهب ماشياً على الأقدام »

- « لا ، بالتأكيد لن أسمح بذلك ، سأركب أحد هذه الحمير » .

وتقدم من الحمار الذى على اليمين من أول زوج من الحمير وحاول أن يمتطيه ولكن الحمار رفسه رفسة قوية فى بطنه جعلته يتدحرج وساقيه فى الهواء . وضحك الأولاد الذين شاهدوا هذا المنظر .

لكن الرجل القزم لم يضحك ، فقد تقدم من الحمار المتمرد كأنه سوف يعطيه قبلة ثم عضّه فى أذنه .

نهض بينوكيو من على الأرض غاضبًا وقفز جالسًا على ظهر الحمار المسكين . كانت قفزة رائعة ؛ حيث جعلت الأولاد يتوقفون عن الضحك ويهتفون « براڤو بينوكيو » وصفقوا له وهللوا . ولكن الحمار رفع ساقيه الخلفيتين لأعلى وقذف بالتمثال ، ولكن الرجل القزم بدلاً من أن يضحك تقدم من الحمار الحرون فقام بتقبيله ، وبينما هو يقوم بذلك عض أذنه الأخرى ثم قال للتمثال :

- « اركبه الآن ولا تخف . هذا الحمار الصغير لديه بعض الخلل فى رأسه ، ولكنى همست بكلمتين صغيرتين فى أذنه ، آمل أن تجعلاه لطيفًا ومطيعاً »

ركب بينوكيو الحمار وتحركت الحافلة ، وبينما الحمير تسير والحافلة تصلصل فوق حجارة الطريق ظن بينوكيو أنه قد سمع صوتًا خفيفًا يكاد يكون همساً يقول له :

- « أيها المغفل المسكين ، سوف تتبع الطريق التى تريدها ولكنك ستندم على ذلك »

أحس بينوكيو بالخوف ، فنظر من جانب لآخر محاولاً اكتشاف من أين تأتى هذه الكلمات ولكنه لم ير أحداً . سارت الحمير وصلصلت الحافلة ونام الأولاد بداخلها ، كان فتيل الشمعة يشخر كالسنجاب ، والرجل القزم الجالس على صندوق العربة يغنى من بين أسنانه :

- « فى الليل الكل ينام ، ولكنى لا أنام أبداً ...»

بعد أن قطعوا حوالى الميل ، سمع بينوكيو الصوت الخفيض نفسه يقول له :

- « ليكن فى معلومك أيها الأبله ، أن الاولاد الذين يرفضون التعلم ويديرون ظهورهم للكتب والمدارس والمدرسين ويقضون وقتهم فى اللعب والمرح . عاجلاً أم آجلاً سيواجهون نهاية سيئة .. أنا أعرف ذلك لخبرتى بهم .. وأستطيع أن أقول لك إنه سيأتى يوم تبكى فيه كما أبكى أنا الآن .. وعندها سيكون الأوان قد فات »

عندما سمع هذه الكلمات الهامسة الرقيقة ، قفز التمثال فوق ظهر الحمار وذهب وأمسك بفمه .

ولدهشته وجد أن الحمار يبكى كأنه ولد .

- « سيدى الحوذى » صاح بينوكيو للرجل القزم « هناك شىء غير عادى ، هذا الحمار يبكى»

- « دعه يبكى ، سوف يضحك عندما يأتى الأوان »

- « ولكن هل علَّمته أن يتكلم ؟»

– « لا ، ولكنه قضى ثلاث سنوات فى صحبة الحمير المدربة وتعلم أن ينطق ببعض الكلمات »

– « الحيوان المسكين »

– « تعال ، تعال » قال الرجل القزم « لا تدعنا نضيع الوقت فى رؤية حمار يبكى ، اركبه ودعنا نستمر فى السير ، الليل بارد والطريق طويلة »

أطاعه بينوكيو دون أن ينطق بكلمة . فى الصباح وعند انبلاج الفجر كانوا قد وصلوا بالسلامة إلى أرض الأغبياء .

كانت البلدة لا تشبه أية بلدة أخرى فى الدنيا ، فسكانها جميعاً من الأولاد ، أكبرهم فى الرابعة عشرة وأصغرهم فى الثامنة . كانت الشوارع تعج بالمرح والصخب والصياح لدرجة تدير رأس أى شخص . كانت جماعات الأولاد فى كل مكان ، بعضهم يلعب بالطوق وبعضهم بالمضارب وبعضهم بالكرة . وكان بعضهم يركب دراجات ، وبعضهم يركب أحصنة خشبية . كانت هناك مجموعة تلعب لعبة الاستخفاء وبعضهم يجرى وراء بعضهم .. كان الأولاد يلبسون قشاً ويأكلون اللبان ، وبعضهم يرتل وبعضهم يغنى وبعضهم يقفز . كان بعضهم يسلى نفسه بالمشى على اليدين وأقدامهم لأعلى وآخرون يدحرجون الأطواق أو يتبخترون فى زى الجنرالات وعلى رؤوسهم قبعات من الورق ويقودون فصائل من الجنود الكرتون . كان بعضهم يضحك وبعضهم يصيح

وبعضهم يهتف وبعضهم يصفق بيديه أو يصفّر أو ينقنق كالدجاجة التى على وشك أن تضع بيضة . بدت البلده كأنها مكان للتهريج أو مستشفى للمجانين ، وعليك أن تسد أذنيك بالقطن حتى لا تصاب بالصمم . فى كل ميدان كانت هناك المسارح منصوبة ومزدحمة بالأولاد وعلى جدرانها كتب بالفحم « فلتحيا الألعاب ، لا مدارس بعد اليوم ، فليسقط التعلم » وغيرها من العبارات التى تحض على كراهية العلم والدرس.

وما إن وطئت أقدام بينوكيو وفتيل الشمعة والأولاد الآخرين الذين قاموا بالرحلة مع الرجل القزم المدينة حتى وجدوا أنفسهم وسط الجلبة ، وخلال دقائق قليلة تعرفوا على كل الموجودين ، وكانوا أكثر سعادة ورضا !

وسط كل هذه الألعاب والمرح ، كانت الساعات والأيام والأسابيع تمر كالبرق .

– « آه ، ما أجملها من حياة !» كان بينوكيو يقولها لفتيل الشمعة أينما قابله ، وكان الآخر يرد وهو فرحان :

– « أرأيت إذن ، ألم أكن على حق ؟»

– « عندما أتذكر أنك لم تكن تريد القدوم وتريد العودة للبيت إلى جنيتك ، ولتضيع وقتك فى الدراسة أكاد أجن ، وها أنت الآن متحرر من مضايقة الكتب والمدرسة وعليك أن تعترف بأن ذلك يرجع لنصيحتى لك . إن الأصدقاء فقط هم الذين يقدمون مثل هذه الخدمات الجليلة » .

- « هذا حق يا فتيل الشمعة ، إذا كنت أنا الآن ولداً سعيداً حقًا فإن هذا يرجع لك ، ولكن هل تعرف ما اعتاد المدرس قوله عندما كان يحدثني عنك ؟ كان يقول لى دائماً لا تصاحب هذا الوغد فتيل الشمعة ؛ لأنه رفيق سوء ، وسوف يقودك للهلاك »

- « المدرس المسكين » رد الآخر وهو يهز رأسه « أنا أعرف جيداً أنه لم يكن يحبني وكان شغوفًا بذمي ولكني كريم وأسامحه »

- « ياالروحك النبيلة ! » قال بينوكيو محتضناً صديقه .

استمرت تلك الحياة الهانئة لخمسة شهور وانقضت الأيام في اللعب والمرح وبلا تفكير في الكتب أو المدرسة . وذات يوم صحا بينوكيو على مفاجأة سيئة جعلت مزاجه كئيباً .

الفصل الثانى والثلاثون

ماذا كانت تلك المفاجأة ؟

عندما استيقظ بينوكيو هرش رأسه ، وبينما هو يهرش اكتشف أن أذنيه طالتا بمقدار شبر .

كانت له - منذ أن صنعه چيبتيو - أذنان صغيرتان لا تظهران للعين بسهولة ، وعندما أحس أن أذنيه صارتا طويلتين ذهب من فوره يبحث عن قطعة زجاج لينظر فيها إلى نفسه ولكنه لم يجد ، فملأ حوض الاغتسال بالماء فرأى فى الماء ما لم يرغب أبدًا فى رؤيته : رأى رأسه وقد زينها زوج رائع من آذان الحمار .

امتلأ بينوكيو المسكين حزنًا على نفسه وبدأ فى البكاء والعويل وضرب رأسه فى الحائط عدة مرات ، لكنه كان كلما زاد بكائه كلما طالت أذناه ، وطالتا وطالتا ونبت الشعر على حوافهما .

ونتيجة لصوت بكائه الملتاع ، جاءت فأرة جميلة صغيرة تعيش فى الطابق الأول إلى الغرفة ، وعندما رأته يتمزق حزنًا سألته :

- « ماذا حدث لك يا جارى العزيز ؟»

- « أنا مريض يا فأرتى العزيزة ، مريض جداً .. ومرضى مخيف . هل تعرفين كيف يقاس النبض ؟ »

- « قليلاً »

- « إذن قيسيه لى »

رفعت الفأرة الصغيرة مخلبها الأمامى ، وبعد أن تحسست نبض بينوكيو قالت له متنهدة :

- « إننى مضطرة لأن أبلغك أخباراً سيئة »

- « وما هى ؟ »

- « أنت مصاب بحمى شديدة »

- « أى نوع من الحمى ؟ »

- « حمى الحمير »

- « هذه الحمى لا أعرفها »

- « إذن سوف أشرح لك » قالت الفأرة « لا بد أن تعرف أنه خلال ساعتين أو ثلاث لن تكون تمثالا أو ولداً »

- « إذن ماذا سأكون ؟»

- « سوف تصبح حماراً صغيراً ؛ مثل الحمير التى تجر العربات ، والتى تحمل الكرنب والخضروات للسوق »

- « آه ، يا له من حظ سيئ ، أنا سيئ الحظ » بكى بينوكيو قابضاً على أذنيه بكلتا يديه وهو يشدهما ويمزقهما بغضب كما لو كانا لشخص آخر .

- « أيها الولد العزيز » قالت الفأرة ، مواسية له

- « وماذا تستطيع أن تفعل لتمنع ذلك ؟ إنه القدر والنصيب !»

ولتعلم أنه مكتوب في مقررات الحكمة أن كل الأولاد الكسالى الذين يكرهون الكتب والمدارس والمدرسين والذين يقضون أوقاتهم في اللهو واللعب والمرح ، سينتهون إن عاجلاً أم آجلاً بأن يتحولوا إلى العديد من الحمير الصغيرة »

- « ولكن هل هذا حقيقي ؟»

- « بالتأكيد ، حقيقي جداً .. والدموع الآن عديمة الجدوى ، كان يجب أن تفكر في ذلك مبكراً »

- « ولكن ذلك ليس نتيجة خطأ مني ، صدقيني أيتها الفأرة الصغيرة ، الخطأ كله كان خطأ فتيل الشمعة »

- « ومن يكون فتيل الشمعة هذا ؟»

- « واحد من زملاء المدرسة . كنت أريد العودة إلى البيت وأن أكون مطيعاً ، وكنت أريد التعلم واكتساب شخصية طيبة ... ولكن فتيل الشمعة قال لي : « لماذا تضايق نفسك بالتعلم ؟ لماذا تذهب للمدرسة ؟ ... تعال معنا إلى أرض الأغبياء ، فهناك لا أحد مرغم على التعلم ، وهناك سنمرح من الصباح حتى المساء وسنكون دائماً في سعادة »

- « ولماذا اتبعت نصيحة هذا الصديق الزائف ؟»

- « لماذا ؟ ... لأنى يا فأرتى الصغيرة العزيزة ، مجرد تمثال بلا عقل وبلا قلب . آه لو كان لى قلب لما كنت تركت الجنية الطيبة التى أحبتنى وكأنها أمى ، والتى فعلت الكثير من أجلى ، ولما كنت ظللت تمثالاً لأنى كان يجب أن أصبح فى هذا الوقت ولداً صغيرا كغيرى من الأولاد ، ولكنى قابلت فتيل الشمعة ، الويل له ، لسوف يسمع رأيى فيه »

اتجه للخروج ولكنه عندما وصل إلى الباب تذكر أذنى الحمار ، وأحس بالخجل من الخروج فيراه الناس بأذني حمار !

أخذ قلنسوة قطنية كبيرة ووضعها على رأسه وشدها لأسفل حتى غطت أنفه ، ثم خرج باحثًا عن فتيل الشمعة فى كل مكان . بحث عنه فى الطرقات وفى الميادين وفى المسارح الصغيرة وفى كل مكان يمكن أن يوجد فيه ، ولكنه لم يجده . سأل عنه كل من قابله ، ولكن أحداً لم يكن قد رآه .

ذهب للبحث عنه فى منزله ، وعندما وصل إلى الباب طرقه بقوة .

- « من بالباب ؟» صاح فتيل الشمعة من الداخل .

- « إنه أنا »

- « انتظر دقيقة وسوف أسمح لك بالدخول »

بعد نصف ساعة فتح الباب ودخل بينوكيو ، لكنه عندما دخل الغرفة وجد صديقه فتيل الشمعة وعلى رأسه قلنسوة من القطن وقد جذبها إلى طرف أنفه . عند رؤيته للقلنسوة أحس بينوكيو بالارتياح وقال :

– « هل أصاب صديقى المرض الذى أصابنى ؟ هل يعانى هو الآخر من حمى الحمير ؟»

تظاهر الآخر بأنه لم يسمع شيئًا . فاستطرد بينوكيو ضاحكًا :

– « كيف حالك يا عزيزى فتيل الشمعة ؟»

– « على خير حال »

– « هل أنت فعلاً فى خير حال ؟»

– « ولماذا أكذب ؟»

– « اعذرنى ، ولكن لماذا تضع هذه القلنسوة القطنية على رأسك وتغطى بها أذنيك ؟

– « أمرنى الطبيب بأن ألبسها ؛ لأننى قد جُرحت فى جبهتى ! وأنت يا عزيزى التمثال ، لماذا تضع قلنسوة قطنية تغطى أذنيك ؟»

– « وصفها لى الطبيب ؛ لأنى قد جرحت قدمى » !!

– « آه ، مسكين بينوكيو ! »

– « آه ، مسكين فتيل الشمعة ! »

بعد تلك الكلمات ساد صمت طويل بينهما لم يفعل خلاله الصديقان شيئًا سوى النظر بسخرية لبعضهما . أخيراً قال التمثال بصوت ناعم لرفيقه :

- « قل لى يا عزيزى فتيل الشـمعة ، هـل عانيت مرة من مرض فى أذنيك ؟»

- « أبدًا ... وأنت ؟»

- « أبدًا ! فقط منذ الصبح وإحدى أذنى تؤلمنى »

- « وأذنى أيضًا تؤلمنى »

- « أنت أيضًا ؟ وأىٍّ من أذنيك تؤلمك ؟»

- « كلتاهما . وأنت ؟»

- « كلتاهما . هل لديك أنت أيضًا المرض نفسه ؟»

- « أخشى ذلك »

- « هل تسدى لى معروفًا يا فتيل الشمعة ؟»

- « بكل ترحيب »

- « هل تسمح لى بأن أرى أذنيك ؟»

- « ولم لا ؟ ولكن أولاً ، يا عـزيزى بيـنوكـيـو ، أريـد أن أرى أذنيك أنت »

- « لا ، أنت الأول »

- « لا يا عزيزى ، أنت الأول ثم أنا »

- « حسن » قال التمثال « لنعقد اتفاقًا كالأصدقاء »

- « فلنسمع الاتفاق »

- « كلانا يخلع القلنسوة فى الوقت نفسه . هل توافق ؟»

- « أوافق »

- « إذن ، انتبه »

وبدأ بينوكيو العدّ بصوت عال : واحد ، اثنين ، ثلاثة عند كلمة ثلاثة خلع الولدان القلنسوة وقذفا بها إلى الهواء . بدا المشهد غير معقول فقد اكتشف بينوكيو وفتيل الشمعة أن كليهما أصابته المصيبة نفسها ، فبدلاً من أن يشعرا بالأسى والأسف انتهى بهما الأمر إلى الانفجار فى الضحك . ضحكا وضحكا وضحكا حتى اضطرا للإمساك ببعضهما خشية الوقوع على الأرض من شدة الضحك . وفى خضم هذا الضحك توقف فتيل الشمعة فجأة وقد تصلب وتغيّر لونه وقال لصديقه :

- « النجدة ، النجدة يا بينوكيو »

- « ما خطبك ؟»

- « يا للهول . أنا لا أستطيع الوقوف »

- « ولا أنا ايضاً » قال بينوكيو وقد بدأ فى البكاء .

وبينما هما يتحدثان ، أخذا فى الجرى حول الغرفة على أيديهما وأقدامهما وبينما هما يجريان ، أصبحت يدا كل منهما حوافر وطال وجه كل منهما وأصبح عليه لجام ، وأصبح ظهر كل منهما يغطيه شعر خفيف بلون رمادى فاتح يكتنفه اللون الأسود .

وكانت أكثر اللحظات سوءاً عندما وجدا أن ذيل كل منهما قد طال بمقدار شبرين عندئذ غلبهما الخجل فبكيا مولولين على حظهما البائس .

كانا ينهقان معًا بصوت عال كالجحوش ، وبينما هما مستمران فى ذلك ، دق الباب شخص ما ، وأتى صوت من الخارج يقول :

- « افتح الباب ! أنا الرجل القزم ! أنا الحوذى الذى جاء بكما إلى هذه البلدة . افتحا حالاً وإلا أصابكما الأذى »

الفصل الثالث والثلاثون

بعدما أصبح بينوكيو حمارًا صغيرًا حقيقيًا ، يُؤخذ فيباع ، ويشتريه مدير فرقة للبهلوانات ليعلمه الرقص والقفز عبر الأطواق ، لكن في إحدى الأمسيات يصيب نفسه في قدمه فيشتريه رجل يرغب في عمل طبلة من جلده

عندما وجد الرجل القزم أن الباب لا يزال موصداً ، ركل الباب بعنف ففتحه ودخل الغرفة قائلاً لبينوكيو وفتيل الشمعة بضحكته القبيحة المعتادة :

- « حسنا فعلتما أيها الولدان ، لقد نهقتما جيدا وتعرفت عليكما من أصواتكما ؛ لهذا أنا هنا .»

عند هذه الكلمات كان الحماران الصغيران مذهولين ، رأساهما لأسفل وآذانهما متدليتان ، وذيلاهما بين أرجلهما .

في البداية ربّت الرجل القزم عليهما بخفة ، ثم سحب مشطًا ومشط شعرهما . وعندما انتهى من وضع لمساته حتى صارا جميلين فوضع لجامًا حول عنق كل منهما وقادهما إلى السوق ، آملاً في بيعهما وتحقيق عائد مجز .

وبالتأكيد لم تكن هناك حاجة للبحث عن مشترين ، فقد باع فتيل الشمعه على الفور لفلاح كان حماره قد مات في يوم سابق ، وباع بينوكيو لمدير فرقة للبلياتشو ، والذى اشتراه ليعلمه القفز والرقص مع باقى الحيوانات التى تضمها الفرقة .

ولعلنا عرفنا الآن نوع التجارة التى يقوم بها الرجل القزم ؛ فهذا الوحش الشرير يقطع الرحلات حول العالم بحافلته ، وأثناء سيره فى الطريق يجمع كل الأولاد الكسالى الذين يكرهون الكتب والمدرسة . وما إن تمتلئ بهم حافلته حتى يقودها بهم إلى أرض الأغبياء فيقضوا وقتًا فى اللعب والصراخ والمرح . وعندما يتحول هؤلاء الأولاد المخدوعين إلى حمير يستولى عليهم بسرور عظيم ويحملهم إلى الأسواق والمعارض ليبيعهم . وبهذه الطريقة جمع فى سنوات قليلة أكوام من المال وأصبح ثريًا . ولا أحد يعرف ما الذى جرى لفتيل الشمعة ، لكن بينوكيو من أول يوم كان عليه أن يتحمل حياة شاقة مليئة بالعمل .

عندما وضعه سيده فى حظيرته ، وضع أمامه قشًا ليأكل ، ولكن عندما جرب بينوكيو أن يأكل القش عافته نفسه وقذفه خارج فمه .

عندئذ ملأ سيده وعاء طعامه بالدريس ، ولكنه لم يعجب التمثال . صاح سيده بغضب « آه ، ألا يعجبك الدريس ؟ ، اترك ذلك لى يا حمارى الجميل ، إذا كنت مفعمًا بالكبرياء سوف أجد طريقة لتقويمك » وقام بضربه على رجليه بالسوط لتقويم سلوكه . بدأ بينوكيو فى البكاء والنهيق بألم وقال متألمًا :

- « سيدى .. أنا لا أستطيع هضم القش »

- « كل الدريس إذن » صاح السيد الذى بدا حانقًا ..

- « الدريس يؤلم معدتى »

- « هل تدعى أن حمارًا صغيرًا مثلك يجب أن أطعمه صدور الدجاج والديوك الرومى ؟ » كان سيده يصيح غاضبًا ويضربه بالسوط بقسوة ، ولما فاض الكيل ببينوكيو أمسك عن الكلام ولم يقل شيئًا .

أغلق السيد الإسطبل وترك بينوكيو وحيداً . لم يكن بينوكيو قد أكل شيئًا لساعات طويلة وراح يتثاءب من الجوع ، وعندما فتح فمه بدا واسعًا وعميقًا لدرجة كبيرة ، ولما لم يجد شيئًا آخر ليأكله ، اضطر لأن يأكل قليلاً من الدريس ، وبعد أن مضغه جيداً أغلق عينيه وبلعه رغما عنه .

- « هذا الدريس ليس سيئًا » قال لنفسه « ولكن كم كان من الأفضل لو أننى ظللت فى المدرسة ، وبدلاً من الدريس كنت سآكل خبزًا طازجًا وشرائح لذيذة من الدجاج .. لكن يجب أن أصبر .....»

فى صباح اليوم التالى كان جائعًا ، نظر فى وعاء طعامه بحثًا عن قليل من الدريس ، ولكنه لم يجد شيئًا ؛ لأنه كان قد أكله كله خلال الليل . عندئذ أخذ قليل من القش فى فمه ، لكنه عندما أخذ فى مضغه وجد مذاقه سيئًا ولا يشبه على الإطلاق طبق من المكرونه أو الأرز .

- « ولكنى لابد وأن أصبر » قال وهو مستمر فى المضغ «ربما كان ما يحدث لى عبرة لكل الأولاد العصاة الذين لا يريدون التعلم »

– « الصبر بالتأكيد » صاح سيده عندما دخل فى تلك اللحظة إلى الإسطبل ..

« هل تعتقد يا حمارى الصغير أننى قد اشتريتك لكى أعطيك الطعام والشراب فقط ؟ لقد اشتريتك لكى أجعلك تعمل وتكسب مالاً من أجلى . انهض حالاً .. يجب أن تذهب معى إلى السيرك ، وهناك سوف أعلمك القفز عبر الأطواق والمرور من الإطارات الورقية ورأسك فى المقدمة ، وأن ترقص الفالس والبولكا ، وأن تقف مستوياً على رجليك الخلفيتين »

كان على بينوكيو المسكين سواء برغبته أم رغمًا عنه أن يتعلم كل هذه الأشياء السخيفة ، ولكنه قضى ثلاثة شهور قبل أن يتمكن من تعلمها ، وناله الكثير من الضرب بالسياط حتى كاد جلده أن يتمزق .

أخيراً جاء اليوم الذى كان بمقدور سيده أن يعلن أنه بصدد عمل عرض غير عادى . كانت الإعلانات الملصقة على أركان الطرقات مكتوبة على النحو التالى :

عرض عظيم والدخول بالملابس الكاملة

الليلة

نقدم المهارات المعتادة

والعروض المدهشة

التى يقوم بها كل الفنانين

وكل جياد الفرقة

وفوق ذلك نقدم لكم

الحمار الصغير .. بينوكيو

نجم الرقص والأكروبات

في أول ظهور له

وسيكون المسرح بارع الإضاءة

في تلك الأمسية ، قبل ساعة من بدأ العرض ، كان المسرح يغص بالجمهور ، ولم يكن هناك مكان شاغر سواء في المقدمة أم المؤخرة ولا حتى في المقصورات . كانت المقاعد حول الحلبة مزدحمة بالأطفال والأولاد من كل الأعمار الذين كانوا في شغف لرؤية الحمار الصغير الشهير بينوكيو وهو يرقص .

عندما انتهى الجزء الأول من العرض ، قدم مدير الفرقة نفسه للجمهور وهو يلبس معطفًا أسود وشورتًا أبيض وحذاء جلديًا كبيرًا له رقبة تصل إلى ما فوق الركبة ، وبعد انحناءة طويلة بدأ خُطبته المضحكة التالية :

« الجمهور المحترم ، السيدات والسادة ؛ لأنني عابر سبيل بهذه المدينة الشهيرة ، رغبت في أن أنال شرف أن أعرض على هذا الجمهور الذكي ، حمارًا صغيرا شهيرا ، كان له شرف الرقص في حضرة صاحب الجلالة الإمبراطور وإني إذ أشكركم ، أود منكم أن تسعدونا بوجودكم وأن تكونوا متسامحين معنا »

استقبل الجمهور الخطبة بكثير من الضحك وقليل من الاستحسان ، ولكن تضاعف هتاف الاستحسان وأصبح شديد الصخب عندما ظهر الحمار الصغير بينوكيو وسط حلبة السيرك . كان سيده قد زينه لهذه المناسبة ، فكانت له بردعة جديدة من الجلد اللامع بأشرطة وأزرار نحاسية براقة وزهور بيضاء فى أذنيه . كان شعر رقبته مفروقًا وممشطًا وكل خصلة مربوطة بأشرطة ملونة ، وكان يحيط خصره حزام من الذهب والفضة وذيله مغطى بالقطيفة والأشرطة الزرقاء . كان فى الحقيقة حماراً صغيرا جميلا ما أن تشاهده حتى تقع فى حبه .

عند تقديمه للجمهور أضاف مدير الفرقة هذه الكلمات القليلة :

« المشاهدون المحترمون ، أنا لم آت إلى هنا لأقول لكم أكاذيب عن الصعوبات العظيمة التى واجهتها لكى أروّض هذا الجحش الذى كان يرتع بحرية بين الجبال ، أتمنى أن تلاحظوا نظرة عينيه المتوحشتين ، لقد حاولت بكل الطرق ترويضه ، وإخضاعه لحياة الحيوانات المستأنسة ، ولكن دون جدوى . لقد كنت كثيرا ما اضطر إلى استخدام السوط معه ، ولكن على العكس ، بدلا من أن يحبنى زاد من خبثه . على أية حال فأنا لم أعلمه فقط أن يرقص ، ولكن أن يقفز أيضا عبر الأطواق وعبر الإطارات المغلفة بالورق . فلتعجبوا به وتقولوا رأيكم فيه ، ولكن قبل أن أترككم ، اسمحوا لى أيها السيدات والسادة أن أدعوكم للعرض اليومى الذى سيبدأ الآن »

بعد ذلك انحنى مدير العرض انحناءة عظيمة والتفت إلى بينوكيو قـائـلاً :

- « تشجع يا بينوكيو ، قبل أن تبدأ مهاراتك عليك الانحناء لهذا الجمهور العظيم من السيدات والسادة والأطفال »

أطاع بينوكيو مدير العرض وانحنى بأن ثنى ركبتيه إلى أن لامستا الأرض وبقى راكعًا حتى صاح به المدير مفرقعًا بالسوط :

- « سر بمقدار الخطوة »

رفع الحمار الصغير نفسه على أرجله الأربع ، وبدأ السير حول الحلبة محافظًا على أن يسير مقدار خطوة. بعد قليل صاح المدير :

- « اركض » ومطيعًا للأمر بدأ بينوكيو الركض .

- « ارمح » وبدأ بينوكيو التحول إلى العدو السريع .

- « ارمح بسرعة » جرى بينوكيو بأقصى سرعة .

ولكن بينما هو يجرى بأقصى سرعة كحصان السباق ، رفع المدير ذراعه في الهواء وأطلق رصاصة من مسدسه . عندما سمع بينوكيو الطلقة ، تظاهر بأنه جُرح وسقط على أرض الحلبة وتمدد كما لو أنه يموت بالفعل .

قام من على الأرض وسط عاصفة من التهليل والهتاف والتصفيق ، ثم رفع رأسه لأعلى ونظر صوب أحد البلكونات فرأى سيدة جميلة تلبس حول عنقها سلسلة كبيرة من الذهب تتدلى منها ميدالية مرسوم عليها صورة تمثال .

– « هذه صورتي ... هذه السيدة هي الجنيّة » قال بينوكيو لنفسه بعد أن تعرف عليها في الحال ، وغلبته الفرحة فحاول البكاء وحاول أن يقول :

– « آه يا جنيتي الصغيرة ، آه يا جنيتي الصغيرة »

ولكن بدلاً من هذه الكلمات أخرج من فمه نهيقًا حادًا وطويلاً بصورة أضحكت الجمهور خاصة الأطفال الذين كانوا يضحكون بشدة . لكن ذلك لم يعجب المدير، ولكي يعلمه درسًا ، ويجعله يفهم أنه ليس من الآداب الحميدة النهيق أمام الجمهور ، لكمه في أنفه بمقبض السوط.

أخرج الحمار المسكين لسانه ولحس أنفه ، معتقدًا أن ذلك سيخفف الألم الذي يحس به .. لكن ذلك لم يخفف ألمه بصورة كبيرة . رفع رأسه ونظر لأعلى ثانية فرأى الشرفة خالية وأن الجنيّة اختفت ، امتلأت عيناه بالدموع وبدأ يبكي في صمت ولم يلاحظ أحد ما حدث ، ولا حتى المدير الذي كان يفرقع بالسوط ويهتف :

– « تشجع يا بينوكيو . دع المشاهدين يرون كيف يمكنك القفز ببراعة عبر الأطواق »

حاول بينوكيو القفز مرتين أو ثلاث ولكن في كل مرة كان يواجه فيها الطوق فبدلاً من أن يقفز كان يمر من تحته . أخيراً قام بقفزة رائعة ومر من خلاله ، ولكن لسوء الحظ تعلقت قدمه اليمنى بالطوق ، مما جعله يسقط على الأرض متكومًا على جانبه .

وعنــدما نهـض كان يعـرج ، وبصـعوبة بالغـــة أمكــنه الوصـول إلى الإسطبل .

- « أحضروا بينوكيو ! نريد الحمار الصغير ! أحضروا بينوكيو » صاح كل الأولاد فى المسرح وقد تأثروا بما حدث له .

ولكن الحمـار الصـغير لم يظهر مرة أخرى ذلك المسـاء . فى اليوم التـالى زاره الطبيب البيطرى وأعلن أنه سـوف يظل أعرج طوال حياته . حين عرف ذلك قال المدير لصبى الإسطبل :

- « مـاذا تظن أننـى فاعل بحمـار أعرج ؟ سـوف يـأكل طعامًا دون أن يكسب مالا . خذه للسوق وبعه »

سار به صـبى الإسطبل وعندما وصـلا إلى السوق وجد مشـتريًا فى الحال . نظر الرجل الذى يريد شراءه للصبى وسـأله :

- « كم تريد مقابل هذا الحمار الأعرج ؟»

- « عشرون فرنكًا »

- « سـأعطيك عشرون بنسـًا . لا تظن أننى أشـتريه لاستخدمه ، أنا أشـتريه من أجل جلده فـقط . أرى أن جلده صـلب وأنوى أن أصنـع منه طبلة للفرقة الخاصة بقريتى »

ارتجف بينوكيو عند سماعه كلمات الرجل .. وأخذ يفكر فى مصيره .

دفع المشترى العشرين بنسًا وساق حماره الصغير إلى شاطئ البحر ، ثم وضع حجراً حول عنقه وربطه بحبل أمسك بطرفه فى يده ثم دفعه فجأة وقذف به إلى الماء .

غاص بينوكيو إلى القاع مباشرة ، وأمسك مالكه بالحبل بقوة فى يده وجلس هادئًا على صخرة ينتظر غرق الحمار الصغير حتى يمكنه سلخه .

الفصل الرابع والثلاثون

بينوكيو تأكله سمكة ويصبح تمثالا كما كان من قبل ، وبينما هو يسبح لإنقاد نفسه يبتلعه كلب البحر

بعد أن ظل بينوكيو تحت الماء لقرابة الساعة ، قال الرجل الذى اشتراه لنفسه بصوت عالٍ :

– « إن حمارى الأعرج الصغير المسكين لابد وأنه غرق تمامًا الآن ، سوف أجره إذن من الماء وأصنع طبلة جيدة منْ جلده »

بدأ فى سحب الحبل الذى كان مربوطًا فى رجل الحمار وسحب وسحب ، وفى النهاية بدلاً من أن يظهر الحمار الصغير ظهر تمثالاً حيًا يتلوى كالثعبان .

عند رؤيته للتمثال الخشبى ، ظن الرجل المسكين أنه يحلم ، وأذهلته الدهشة فظل لدقائق فاغرًا فاه ولعابه يسيل منه بغزارة . عندما أفاق قليلا من هول المفاجأة قال بصوت مرتعش :

– « والحمار الصغير الذى قذفته فى البحر ؟ ماذا جرى له ؟»

تكلم بينوكيو ورد قائلاً :

– « أنا الحمار الصغير »

– « أنت ؟»

– « أنا »

– « آه ، أيها الوغد الصغير ! كيف تجرؤ على أن تسخر منى ؟»

– « أسخر منك ؟ على العكس تمامًا ، يا سيدى العزيز ، أنا أتكلم بجدية »

– « ولكن كيف استطعت أنت الذى كنت منذ قليل حمارًا صغيرًا أن تصبح تمثالاً خشبيا لمجرد أن نزلت فى الماء ؟»

– « لابد وأنه أثر ماء البحر ؛ فالبحر يؤدى إلى تحولات غريبة »

– « حذار أيها التمثال ، لا تظن أن باستطاعتك السخرية منى . الويل لك إذا فقدت صبرى »

– « حسن يا سيدى ، هل ترغب فى معرفة القصة الحقيقية ؟ إذا أطلقت رجلى من الحبل سوف أحكيها لك ؟»

كان الرجل الطيب مشتاق لسماع القصة الحقيقية فقام فى الحال بفك الحبل الذى يربطه به ، وعندما وجد بينوكيو نفسه حرًا كطير فى السماء قال :

– « لابد وأن تعرف أنننى كنت تمثالاً كما أنا الآن ، وكنت على وشك أن أصبح ولدًا مثل الكثيرين من الأولاد فى هذا العالم . ولكن بدلاً

من ذلك ، ونتيجة لكراهيتي للدراسة ولسماعي نصيحة رفاق السوء هربت من البيت . وذات يوم عندما استيقظت وجدت أنني قد تحولت إلى حمار بأذنين طويلتين وذيل طويل. وكم كانت مهانة لي يا سيدي العزيز ، مهانة كبيره لا يقدر على فعلها إلا القديسين .

بعدها أخذت إلى السوق لأباع ، واشتراني مدير فرقة حيوانات السيرك ، وأصر على أن يجعلني أرقص ، وأقفز عبر الأطواق . وفي إحدى ليالي العرض ، سقطت على قدمي وأصبحت أعرج . عندها لم يعرف صاحب السيرك ماذا يفعل بحمار أعرج ، فأرسلني لكي أباع وكنت أنت المشترى »

– « صحيح جداً ! وقد دفعت عشرين بنساً فيك . فمن سيعطيني نقودي إذن ؟»

– « ولماذا اشتريتني ؟ لقد اشتريتني لتصنع طبلة من جلدي . أليس كذلك ؟ »

– « هذا صحيح ، والآن أين سأجد من آخذ جلده لصنع طبلتي ؟»

– « لا تيأس يا سيدي . يوجد العديد من الحُمر الصغيرة في العالم »

– « قل لي أيها الوغد : هل انتهت قصتك هنا ؟»

– « لا » أجاب التمثال : « عندي كلمتان لأقولهما وبعدها أكون قد انتهيت . بعد أن اشتريتني أتيت بي إلى هذا المكان لتقتلني ، ولكنك

استجبت لمشاعر الرحمة وفضلت أن تربط حجراً حول عنقي وتقذف بي إلى البحر ، هذه المشاعر الإنسانية تضفى عليك شرفًا عظيمًا »وسوف أظل مدينًا لك نتيجة لذلك . ولكنك لم تقدّر ماذا يمكن أن تفعله الجنية »

- « ومن تكون هذه الجنيّة »

- « إنها أمي ، وتشبه كل الأمهات الطيبات الأخريات اللاتي يراقبن أطفالهن ولا يغبن عن أنظارهن ويساعدوهن بحب حتى لو كان سلوكهم شريراً نتيجة غبائهم ويستحقون الإهمال . وما إن رأتني الجنيّة الطيبة على وشك الغرق ، حتى أرسلت سربًا ضخمًا من الأسماك التي اعتقدت أنني حقًا حمار صغير ميت وبدأت في أكلي . ولكم التهمت مني ! لم أكن أعرف أن السمك نهم أكثر من الأولاد : بعضهم أكل أذني ، وبعضهم أكل اللجام ، والبعض الآخر أكل رقبتي ورأسي ، والبعض أكل رجليّ وجلدي وكانت بينهم سمكة صغيرة مهذبة لم تأكل سوى ذيلي »

- « أقسم إنني لن ألمس السمك أبداً . سوف يكون من المخيف أن أفتح سمكة بوري أو بياض فأجد داخلها ذيل حمار »

- « أوافقك الرأي ، لكن يجب أن أخبرك أنه عندما انتهت الأسماك من أكل جسم الحمار الذي كان يحتويني من الرأس إلى القدم ، وصلوا بالطبع إلى العظام أو بالأحرى إلى الخشب ؛ حيث - كما ترى - أنا مصنوع من أصلب الأخشاب . ولكن بعد عدة قضمات اكتشفوا في الحال أنني لست لقمة سائغة لأسنانهم ، فأصابهم القرف من هذا الطعام الغير قابل للهضم وتركوني وذهبوا : بعضهم ذهب في

اتجاه والباقى فى الاتجاه الآخر دون حتى أن يشكرونى . وعندما جررت أنت الحبل وجدت تمثالاً حيًا بدلاً من حمار ميت »

– « إننى أضحك من قصتك » صاح الرجل غاضبًا : « أنا أعرف فقط أننى دفعت عشرين بنسًا لشرائك ، وأننى لابد وأن أحصل على ما دفعته . هل تعرف ماذا سأفعل ؟ سوف آخذك إلى السوق وأبيعك بالرطل كخشب لإشعال النار »

– « إذا كنت تريد ذلك ، أنا راض » قال بينوكيو . ولكنه بعد أن قال ذلك قفز قفزة هائلة أوصلته إلى البحر وسبح بعيداً عن الشاطئ ثم نادى على الرجل قائلاً :

– « إلى اللقاء يا سيدى . إذا احتجت إلى جلد لعمل طبلة ، تذكرنى » وبعد هنيهة عاد وصاح مرة أخرى :

– « إلى اللقاء يا سيدى . إذا احتجت إلى خشب جيد لإشعال نار ، تذكرنى »

وفى لمح البصر سبح بعيداً جداً حتى لم يعد ظاهراً للعيان . كل ما كان يظهر منه بقعة صغيرة سوداء على سطح البحر ترفع رجليها من وقت لآخر خارج الماء وتقفز وتنط كالدرفيل الذى يستمتع باللعب .

بينما كان بينوكيو يسبح ولا يعرف لأين ، رأى وسط البحر صخرة من الرخام وعلى قمتها وقفت معزة صغيرة جميلة تشير إليه بالاقتراب .

كان شعر المعزة الصغيرة أزرق ، وكانت زرقته رائعة وتشبه شعر الطفلة الجميلة .

تسارعت دقات قلب بينوكيو وسبح بقوة مضاعفة وحماس تجاه الصخرة البيضاء ، وحينما كان فى منتصف الطريق رأى رأس أحد وحوش البحر يخرج فوق الماء ويقترب منه . كان فمه المخيف مفتوحًا على مصراعيه وأسنانه الضخمة تصيب بالخوف عند النظر إليها ولو كانت فى صورة .

لم يكن الوحش البحرى سوى كلب البحر المهول الذى لا يشبع .

أصاب بينوكيو المسكين رعبًا شديداً عند رؤيته للوحش وحاول تجنبه بتغيير اتجاهه ، ولكن الفم الضخم المفتوح على اتساعه جاء نحوه بسرعة السهم .

– « أسرع يا بينوكيو » صاحت المعزة الجميلة الصغيرة وهى تمأمئ. سبح بينوكيو بقوه هائلة – بذراعيه وصدره ورجليه وقدميه تدفعه كلمات المعزة الجميلة وهى تحذره :

– « أسرع يا بينوكيو ، الوحش يقترب منك »

سبح بينوكيو أسرع وأسرع وجاهد ليصل إلى الصخرة . وما إن اقترب من المعزة الصغيرة حتى مالت المعزة قليلاً فى اتجاه البحر ، ومدت رجليها الأماميتين لتساعده على الخروج من الماء ، ولكن كان الأوان قد فات ، فقد لحق به الوحش ، والتقطه داخل فمه كما لو كان يلتقط سمكة صغيرة ، ثم ابتلعه بعنف وقسوة لدرجة أن بينوكيو عندما سقط فى جوف كلب البحر سقط كالحجر وفقد وعيه .

عندما عاد لوعيه لم يكن يعرف فى أى عالم هو . كل ما حوله كان مظلمًا ، وكان الظلام أسود وشاملاً حتى بدا له أنه قد سقط برأسه فى زجاجة مليئة بالحبر . أرهف سمعه لبضع ثوان ، ولكنه لم يسمع أى صوت سوى صوت هفهات الريح التى كانت تضرب وجهه . فى البداية لم يعرف من أين تأتى الريح ، ولكنه اكتشف أنها تأتى من رئتى الوحش ؛ فهو عندما يتنفس فكأنما تهب رياح الشمال .

حاول بينوكيو فى البداية أن يظل رابط الجأش ، ولكن عندما أدرك بأنه قد أصبح محبوسًا فى جوف وحش البحر بدأ فى البكاء والصراخ والنحيب :

– « النجدة ، النجدة ، هل يأتى أحد وينقذنى ؟»

– « من تعتقد أن بإمكانه إنقاذك ، أيها البائس الصغير ؟»

صاح صوت فى الظلام كصوت الجيتار :

– « من الذى يتكلم ؟» سأل بينوكيو وقد تجمد من الخوف :

– « إنه أنا ، سمكة التونة المسكينة التى ابتلعها كلب البحر عندما ابتلعك ، هل تسمح وتقول لى من أى نوع من السمك أنت ؟ »

– « أنا لا أشترك مع السمك فى شىء . أنا تمثال »

– « إذا لم تكن سمكة ، لماذا ابتلعك الوحش ؟»

– « لا أعرف بالضبط ! الوحش هو الذى ابتلعنى فاسأليه » تنهد بعدها قائلاً :

– « لكن ماذا نحن فاعلان فى هذا الظلام الكئيب ؟»

– « لن نفعل شيئًا سننتظر كلب البحر ليهضمنا نحن الاثنين »

– « ولكنى لا أريد أن أهضم » صاح بينوكيو باكيًا ..

– « ولا أنا أريد أن أهضم » أضافت سمكة التونة « ولكنى فيلسوفة وأعزى نفسى بالتفكير فى أنه عندما نخرج للحياة كأسماك تونة فمن العزة أن نموت فى الماء لا فى الزيت »

– « هذا كلام فارغ » صاح بينوكيو .

– « هذا رأيى » أجابت التونة « والآراء التى تقولها أسماك التونة ، يجب احترامها » .

– « اختصارًا لكل هذا ... أريد الخروج من هنا .. أريد الهرب »

– « اهرب إذا كنت تستطيع »

– « هل كلب البحر الذى ابتلعنا شديد الضخامة ؟»

– « إن جسمه بطول ميلين دون الذيل »

وبينما هما يتحاوران فى الظلام ، خيل لبينوكيو أنه قد رأى ضوءًا بعيدًا .

– « ما هذا الضوء الخافت الذى أراه على بعد ؟»

– « من المرجح جدًا أنه رفيق لنا ينتظر هضمه »

– « سأذهب لأرى ، ريما تكون سمكة عجوز تستطيع أن ترشدنا لكيفية الهرب »

– « آمل أن تكون كذلك أيها التمثال العزيز »

– « إلى اللقاء أيتها التونة »

– « إلى اللقاء أيها التمثال وحظ سعيد »

– « أين سنتقابل ثانية ؟»

– « من يدرى ؟ من الأفضل ألا تفكر فى ذلك »

الفصل الخامس والثلاثون

بينوكيو يجد فى بطن كلب البحر ... ما الذى وجده ؟!
اقرأ هذا الفصل وسوف تعرف

بعد أن ترك بنيوكيو صديقته التونة ، بدأ يتحسس طريقه فى الظلام فى جوف كلب البحر ، آخذًا فى كل مرة خطوة فى اتجاه الضوء الذى رآه يشع على مسافة بعيدة . كان كلما تقدم كلما صار الضوء أكثر وضوحاً فسار وسار حتى وصل إليه فى النهاية ، وعندما وصل إليه وجد منضدة مفروشة وعليها شمعة مضاءة داخل زجاجة خضراء ويجلس إلى المنضدة رجل قصير عجوز . كان يأكل سمكًا حيًا ، وكان السمك يقفز أحيانًا من فمه وهو يأكله .

عندما شاهد هذا المنظر امتلأ قلبه بفرحة عظيمة فكان يضحك تارة ويبكى تارة أخرى ، وكان يريد أن يقول آلاف الأشياء ، ولكنه استطاع فقط أن ينبس بكلمات قليلة مرتبكة ومتلعثمة ، ثم أطلق صرخة الفرح وفتح ذراعيه وألقاهما حول عنق الرجل العجوز هاتفًا :

- « آه ، يا أبى العزيز ، لقد وجدتك أخيراً ! لن اتركك ثانية أبداً ، أبدًا ، أبدًا »

– « هل ما تراه عيني حقيقي ؟» قال العجوز فاتحًا عينيه « أأنت حقًا عزيزى بينوكيو ؟»

– « نعم ، نعم ، أنا بينوكيو ، بينوكيو حقًا ، وأنت قد سامحتنى أليس كذلك ؟ آه يا أبى العزيز، كم أنت طيب ، وعندما أتذكر أنى كنت على النقيض منك أتألم كثيراً ، آه لو عرفت المصائب التى انهالت على رأسى ، تصور أنه فى اليوم الذى بعت فيه يا أبى العزيز معطفك لتشترى لى كتاب حروف الهجاء لأذهب به للمدرسة ، هربت لكى أرى عرض العرائس ، وكاد مدير العرض أن يضعنى فى النار لكى يشوى اللحم ، وكان هو من أعطانى بعد ذلك القطع الذهبية الخمس لأعطيها لك ، ولكنى قابلت الثعلب والقطة اللذين أخذانى إلى حانة جراد البحر الأحمر ؛ حيث أكل المحتالان الصغيران وتركانى فى منتصف الليل ، ثم قابلت المخادعين اللذين طاردانى وفررت منهما وتبعانى إلى أن شنقانى على فرع شجرة البلوط الكبيرة ، ثم أرسلت الطفلة الجميلة ذات الشعر الأزرق عربة صغيرة لتأخذنى ، وعندما رآنى الأطباء قالوا فى الحال «إذا لم يكن ميتًا ، فهذا دليل على أنه حى » ؛ وعندئذ كذبت كذبة صغيرة وبدأت أنفى تكبر وتكبر حتى إننى لم أستطع فى النهاية الخروج من الباب ؛ لهذا ذهبت مع الثعلب والقطة لدفن القطع الذهبية الأربع ؛ لأنى أنفقت واحدة فى الحانة ، وسخر الببغاء منى وبدلا من الألفى قطعة ذهبية لم أجد شيئًا ؛ لهذا عندما سمع القاضى أن القطع الذهبية قد سرقت منى أرسلنى فى الحال إلى السجن ، وعندما شعرت بالجوع كنت رأيت عنقود عنب جميل فى الحقل وذهبت لآخذه فوقعت فى

فخ ، ووضع الفلاح حول رقبتي طوق كلب لأحرس له مزرعة الدجاج، وبعدما تبينت له براءتي أطلق سراحي ، ثم بدأ الثعبان ذو الذيل الذي يدخن في الضحك بشدة ، مما أدى إلى موته ، فرجعت إلى بيت الطفلة الجميلة التي كانت ميتة . وعندما رأت الحمامة أنني أبكي قالت لي : «لقد رأيت أباك يبني قاربًا صغيرًا ليذهب بحثًا عنك » وقلت لها .. آه ، لو كانت لي أجنحة فسألتني « هل تريد الذهاب لأبيك ؟ » قلت : دون شك ، ولكن من سيأخذني إليه ؟ فقالت : أنا سآخذك إليه ، فقلت « كيف » فقالت لي « اركب على ظهري » وطرنا طوال الليل وفي الصباح قال لي كل الصيادين الذين كانوا بالبحر « هناك رجل مسكين في قارب على وشك الغرق ، وتعرفت عليك في التو حتى وأنت على بعد ، وأشرت إليك لتعود إلى الشاطئ ..»

– « أنا أيضًا تعرفت عليك » قال جيبتيو « وكنت سأعود بالفعل إلى الشاطئ ، ولكن ماذا كان بيدي لأفعله ؟ كان البحر هائجًا ، وقلبت موجة عظيمة القارب ، ثم جاء كلب البحر الرهيب وما إن رآني في الماء حتى أخرج لسانه وأمسك بي وابتلعني كما لو كنت قطعة من التورتة »

– « ومنذ متى أنت هنا ؟» سأل بينوكيو ..

– « منذ ذلك اليوم لابد وأنها سنتين يا عزيزي بينوكيو ، مرتا وكأنهما قرنان من الزمان »

– « وكيف أمكنك البقاء حيًا ؟ ومن أين أتيت بالشمعة ، والثقاب لتوقدها ؟ من أعطاك كل ذلك يا أبي ؟»

– « سأخبرك بكل شيء ، يجب أن تعرف أنه في الوقت نفسه الذي قلبت فيه قاربي ، تحطمت سفينة تجارية ، ولكن تم إنقاذ كل البحارة رغم أن السفينة غرقت واستقرت في الأعماق ، وكان كلب البحر في ذلك اليوم مفتوح الشهية ؛ فبعد أن ابتلعني ابتلع السفينة أيضاً »

– « كيف ؟»

– « ابتلعها في لحظة واحدة ، والشيء الوحيد الذي لفظه كان الشراع الرئيسي ؛ لأنه انحشر بين أسنانه كشوكة سمكة . ولحسن حظي كانت السفينة محملة باللحم المحفوظ والبسكويت وزجاجات الشراب والزبيب المجفف والجبن والقهوة والسكر والشمع وعلب الكبريت . بهذه المؤونة أمكنني العيش لسنتين ولكن المؤن نفدت كلها ، ولم يعد هناك شيء باقٍ ، وهذه الشمعة التي تراها تحترق هي آخر ما تبقى ....»

– « وماذا سيحدث بعد ذلك ؟»

– « بعد ذلك يا ولدي العزيز ، سنبقى كلانا في الظلام »

– « إذن ليس لدينا وقت لإضاعته لابد من التفكير في الهرب »

– « في الهرب ؟ ... وكيف ؟»

– « لابد من نهرب عبر فم كلب البحر ، نقذف بأنفسنا إلى البحر ونعوم بعيداً »

– « أنت تتكلم جيداً ولكن يا عزيزي بينوكيو ، أنا لا أعرف العوم »

– « وما أهمية ذلك ، أنا سباح ماهر ويمكنك الركوب على كتفى وسوف أحملك بأمان إلى الشاطئ »

– « كلها خيالات ، يا ولدى » رد چيبتيو هازًا رأسه بابتسامة يائسة « هل تعتقد أنه من الممكن لتمثال مثلك لا يتعدى طوله المتر أن تكون له القوة ليسبح وأنا فوق كتفيه ؟ »

– « جرب وسوف ترى »

وبدون أن يضيف كلمة أخرى أخذ بينوكيو الشمعة فى يده وسار فى المقدمة لينير الطريق وقال لأبيه :

– « اتبعنى ولا تخف »

سار الاثنان لبعض الوقت داخل معدة كلب البحر ، ولكنهما عندما وصلا إلى النقطة التى يبدأ عندها بلعومه أحسا أنه من الأفضل أن يتوقفا لينظرا حولهما جيداً ويختارا أفضل لحظة للهروب .

ولأن كلب البحر كان عجوزًا جدًا ، ويعانى من ضيق التنفس وسرعة ضربات القلب ، كان مجبرًا على النوم وفمه مفتوح . وبالتالى عندما اقترب بينوكيو من مدخل بلعومه ونظر لأعلى ، كان يمكنه أن يرى السماء وضوء القمر البديعين .

– « هذه هى لحظة الهروب » همس ملتفتًا نحو أبيه « كلب البحر نائم يشخر والبحر هادئ والكون مضئ وكأنه الصبح . اتبعنى يا أبى العزيز، وفى وقت قصير سنكون فى أمان »

تسلقا فى الحال بلعوم وحش البحر وعندما وصلا إلى فمه الواسع بدآ فى السير على أطراف أصابعهما فوق لسانه ، وقبل أن يقوما بالقفزة النهائية قال التمثال لأبيه :

- « اركب على كتفيّ وضع ذراعيك حول عنقي بقوة وسأعتنى بالباقى »

وما إن أصبح چيبتيو مستويًا على كتفى ابنه قفز بينوكيو الذى كان واثقًا من نفسه إلى الماء وبدأ فى السباحة . كان البحر هادئًا ، والقمر يضئ بروعة ، وكلب البحر نائم بعمق لدرجة أن المدافع كانت تفشل فى إيقاظه .

الفصل السادس والثلاثون

أخيرًا بينوكيو لم يعد تمثالاً ، ويصبح ولدًا

بينما كان بينوكيو يسبح بسرعة تجاه الشاطئ اكتشف أن أباه الذى كان قابعًا على كتفيه ورجليه فى الماء يرتعد بعنف ، كما لو أن الرجل المسكين مصاب بالحمى ، لم يكن يعرف ما إذا كان يرتعد من الحمى أو من الخوف ؟ ربما من كليهما . ولكن بينوكيو الذى اعتقد أنه الخوف قال ليطمئن أباه :

– « تشجع يا أبى ، فى دقائق قليلة سوف تكون على الشاطئ »

– « ولكن أين الشاطئ المبارك ؟» سأل الرجل العجوز وقد أصبح خائفًا أكثر وأكثر ، ثم رفع رأسه ونظر لأعلى قائلاً : « لقد نظرت فى كل اتجاه ولم أر سوى السماء والبحر »

– « ولكنى أرى الشاطئ أيضًا » يجب أن تعرف أننى كالقطة ، أرى فى الليل أفضل من النهار »

كان بينوكيو المسكين يتظاهر بأن معنوياته مرتفع ، ولكن فى الحقيقة كان قد بدأ فى الإحساس بالإخفاق وخانته قوته ، كان يتنفس بصعوبة ، ولم يعد باستطاعته عمل أى شيء آخر، والشاطئ كان لا يزال بعيداً .

سبح حتى استنفذ أنفاسه ، ثم أدار رأسه لچيبتيو وقال بكلمات متقطعة :

- « أبى .. ساعدنى .. إننى أموت »

كان الأب والابن على وشك الغرق عندما سمعا صوتًا كالچيتار يقـــول :

- « من هذا الذى يموت ؟»

- « إنه أنا ، وأبى المسكين »

- « أنا أعرف هذا الصوت ، أنت بينوكيو !»

- « تماماً ، وأنت ؟»

- « أنا سمكة التونة ، كنت معك فى السجن ببطن كلب البحر »

- « وكيف استطعت الهرب »

- « فعلت مثلك وسلكت الطريق نفسها »

- « أيتها التونة ، لقد وصلت فى اللحظة المناسبة ، أستحلفك بالله أن تساعدينا وإلا غرقنا »

- « على الرحب والسعة ، أنا مستعدة ، يجب أن يمسك كلاكما بذيلي وسوف آخذكما إلى الشاطئ في دقائق قليلة »

تنفس كل من چيبتيو وبينوكيو الصعداء ، ولكن بدلاً من أن يمسكا بالذيل فكرا في أنه سيكون من الأفضل أن يركبا على ظهر سمكة التونة ، وفي لحظات كانا يستقران فوقها .

بعد أن وصلا إلى الشاطئ ، قفز بينوكيو إلى الأرض أولاً لكي يساعد أباه على النزول ، ثم التفت إلى سمكة التونة وقال لها بصوت غلبه التأثر .

- « يا صديقتي ، لقد أنقذت حياة أبي ، لا أجد كلمات مناسبه لأشكرك بها ، فاسمحي لي على الأقل أن أعطيك قبلة كدليل على عرفاني بالجميل إلى الأبد »

أخرجت السمكة رأسها من الماء وركع بينوكيو على الأرض وقبَّلها برقة في فمها ، ولأن سمكة التونة لم تعتد على تلك المشاعر الدافئة أحست بالخجل ، ولأنها خشيت أن يروها وهي تبكي كالطفل ؛ اندفعت تحت الماء واختفت .

في ذلك الوقت كان الفجر قد حل ، مد بينوكيو ذراعه لچيبتيو ؛ الذي كان يحاول الوقوف بصعوبة وقال له :

- « اعتمد على ذراعي يا أبي العزيز ودعنا نذهب ، سوف نمشي ببطء مثل النمل وعندما نتعب يمكننا أن نرتاح على جانب الطريق .

– « وأين سنذهب ؟» سأل چيبتيو :

– « سنبحث عن منزل أو كوخ ونسأل أهله بعض الخبز إحسانًا ، وبعض القش لننام عليه »

ولم يكادا يسيرا مائتى متر حتى رأيا بجانب الطريق شخصين يبدوان كالمتشردين ويتسولان . كانا الثعلب والقطة ، ولكن كان من الصعب التعرف عليهما . فالقطة التى كانت تدعى العمى أصبحت بالفعل عمياء والثعلب أصبح عجوزًا وأصاب الشلل جانبه ولم يعد له ذيل ، فهو بعد أن سقط فى البؤس الشديد ، اضطر إلى بيع ذيله الجميل لبائع متجول ، اشتراه لكى يستخدمه كمنشة لإبعاد الذباب .

– « آه ، بينوكيو » صاح الثعلب « هات حسنة صغيرة لاثنين من المساكين المرضى »

– « المساكين المرضى » رددت القطة .

– « اغربا عن وجهى أيها اللصان ، لقد خدعتمانى مرة ، ولكنكما لن تخدعانى ثانية »

– « صدقنى يا بينوكيو ، إننا الآن فقيران وحظنا سيئ بالفعل »

– « إذا كنتما فقيران فأنتما تستحقان ذلك ، فالمال المسروق لا ينفع صاحبه .. اغربا عن وجهى وأفسحا لنا الطريق .. »

بعد أن قال بينوكيو ذلك ، تابع هو وچيبتيو طريقهما فى سلام وبعد أن سارا لمسافة مائة متر أخرى وعند نهاية طريق رأيا وسط الحقول كوخًا لطيفا صغيراً من القش وله سقف من الطوب .

– « هذا الكوخ لابد وأن يكون مأهولاً ، دعنا نذهب ونطرق الباب »

ذهب الاثنان إلى الكوخ وطرقا الباب .

– « من بالباب ؟» صاح صوت من الداخل .

– « نحن أب وابن فقراء بلا طعام ولا مأوى » صاح بينوكيو .

– « أديرا المفتاح وسوف يفتح الباب » رد الصوت نفسه .

أدار بينوكيو المفتاح وفتح الباب ودخلا ناظرين هنا وهناك وفي كل مكان ، ولكنهما لم يريا أحداً .

– « أين سيد المنزل ؟ » صاح بينوكيو مندهشاً !

– « أنا هنا بأعلى »

نظر الأب والابن في التـو إلى أعلى وفي الضـوء الخـافت رأيا الصرصار المتكلم .

– « يا صرصـاري المتكلم الصغير العزيز » قال بينوكيو منحنياً تجاهه بأدب .

– « آه ، الآن تدعوني الصرصار الصغير العزيز ، هل تذكر ذلك اليوم الذي قذفت فيه بيد المطرقة نحوي لطردي من بيتك ؟»

– « معك حق أيها الصـرصـار اطردني أنت أيضـًا ، اقـذفني بيد المطرقة ، ولكن أشفق على أبي المسكين »

– « سـأشـفق على كل من الأب والابن ، ولكنى أريد أن أذكـرك بالمعاملة السيئة التى لحقتنى منك وأعلمك أنه يجب أن نظهر المجاملة للناس عندما يكون ذلك ممكنًا ، حتى يمدوا لنا أيديهم عند الحاجة »

– « معك حق أيها الصرصار ، وسوف أتذكر الدرس الذى أعطيته لى ، ولكن كيف استطعت شراء هذا الكوخ الجميل ؟»

– « هذا الكوخ منحته لى معزة صوفها أزرق اللون جميل »

– « وأين ذهبت المعزة ؟» سأله بينوكيو بفضول .

– « لا أعرف »

– « ومتى ستأتى ؟»

– « لن تأتى أبدًا . لقد ذهبت أمس وفى قلبها حسرة عظيمة ، كان الحزن يملأها وتردد « مسكين بينوكيو لن أستطيع رؤيته ثانية ، أغلب الظن أن كلب البحر قد التهمه »

– « هل قالت ذلك حقًا ؟ .. إذن لقد كانت هى ! لقد كانت هى عزيزتى الجنية الصغيرة » قال بينوكيو وهى يبكى وينتحب .

بعد أن بكى لبعض الوقت جفف عينيه وأعد فراشًا مريحًا من القش لچيبتيو لكى ينام ، ثم سأل الصرصار :

– « قل لى أيها الصرصار الصغير أين يمكننى أن أجد كوبًا من اللبن لأبى المسكين ؟»

- « على بعد ثلاثة حقول من هنا يعيش بستانى يدعى جيانجيو يربى الأبقار ، اذهب إليه سوف تجد اللبن الذى تحتاجه »

جرى بينوكيو إلى بيت جيانجيو وسأله أن يعطيه بعض اللبن ، هز جيانجيو رأسه وقال له :

- « كم من اللبن تريد ؟ »

- « أريد كوبًا »

- « كوب اللبن يكلفك نصف بنس »

- « ليست معى نقود » أجاب بينوكيو بحسرة وألم .

- « هذا أمر سيئ أيها التمثال ، إذا لم يكن معك نقود فليس لك عندى نقطة من اللبن »

- « إذن لا جدوى من بقائى هنا » قال بينوكيو متأهبًا للانصراف .

- « انتظر قليلاً يمكننا الوصول إلى اتفاق معًا ، هل ترى الطلمبة ؟»

- « نعم .. »

- « حسن إذن ، إذا استطعت أن تملأ مائة جردل من الماء سوف أعطيك كوبًا من اللبن فى المقابل »

- « وأنا موافق »

قاد جيانجيو بينوكيو إلى حديقة المطبخ وعلّمه كيف يقوم بتشغيل الطلمبة . بدأ بينوكيو العمل مباشرة ، ولكن قبل أن يكمل مائة جردل كان العرق يغمره من رأسه إلى قدمه ، لم يشعر بهذا الإعياء أبدًا من قبل .

- « حتى اليوم كان العمل اللازم لتشغيل الطلمبة يقوم به حمارى الصغير ، ولكن الحيوان المسكين يموت الآن » قال البستانى ..

- « هل تأخذنى لرؤيته ؟» قال بينوكيو .

- « بكل سرور »

عندما دخل بينوكيو الإسطبل رأى حماراً صغيراً جميلاً ممدداً على القش وهو منهمك من الجوع وبدا هزيلاً شاحبًا من كثرة العمل . بعد أن نظر إليه بتمعن قال لنفسه وهو منزعج :

- « أنا متأكد من أننى أعرف هذا الحمار الصغير ! وجهه ليس غريبًا » ثم انحنى فوقه وسأله :

- « من أنت »

فتح الحمار الصغير عينيه وأجاب بكلمات متكسرة

- « أنا ... فتيل .. الشمعة ...»

ثم أغلق عينيه ثانية ومات .

- « آه ، فتيل الشمعة المسكين » صاح بينوكيو بصوت خفيض وأخذ حفنة من القش جفف بها دمعة كانت تسقط على وجهه .

- « هل تحزن على حمار لم يكلفك شيئًا ؟ فماذا يكون حالى وأنا اشتريته بمالى ؟»

- « لابد أن أقول لك إنه كان صديقى »

- « صديقك ؟» .. صاح البستانى بدهشة .

- « نعم .. كان أحد رفاق المدرسة »

- « كيف ؟» صاح چيانچيو ضاحكًا بصوت عال « هل لديكم حمير فى المدرسة ؟ ما هى الدراسة البديعة التى تتعلمونها ؟»

شعر بينوكيو بالخجل ولم يجب ، ولكنه أخذ كوب اللبن وهو لا يزال دافئًا وعاد إلى الكوخ .

منذ ذلك اليوم ولأكثر من خمسة شهور استمر فى القيام بالعمل نفسه عند فجر كل يوم ، يذهب لتشغيل الطلمبة ويحصل على كوب اللبن الذى كان مفيداً لأبيه المريض . لم يقنع فقط بذلك ، فخلال الوقت الذى كان يقضيه بجوار جيبتيو ، تعلم صنع الأسبتة والسلال وبالمال الذى كان يكسبه من بيعها كان يمكنه أن يغطى مصاريفه اليومية . ومن بين الأشياء الأخرى تعلم صنع كرسى بعجل رائع كان يأخذ به أباه إلى خارج البيت فى الأيام المشمسه ليستمتع بالهواء النقى .

بهذه الحرف والابتكارات والشغف بالعمل لم يتجاوز المصاعب فحسب بل أفلح فى الحفاظ على إعجاب أبيه به - وإن كان قد ظل مريضًا - كما أنه استطاع أن يدخر أربعين بنسًا ليشترى لنفسه معطفًا جديداً .

- « سنذهب إلى السوق المجاورة لأشترى لنفسى سترة ، وقلنسوة ، وزوج من الأحذية وعندما أعود سوف أكون أنيق الملبس لدرجة أنك لن تعرف من أنا » . قال بينوكيو لچيبتيو .

ترك بينوكو المنزل وجرى بمرح عبر الطريق وفجأة سمع من يناديه باسمه ؛ فالتفت ورأى قوقعة ضخمة تزحف خارجة من السياج .

– « ألا تعرفني ؟» سألت القوقعة .

– « يبدو لي ... وإن لم أكن متأكداً ...»

– « ألا تتذكر القوقعة التي كانت وصيفة الجنية ذات الشعر الأزرق ؟ ألا تتذكر طول الوقت الذي نزلت فيه لأجعلك تدخل المنزل ، وأمسكت قدمك بباب المنزل ؟»

– « أتذكر كل ذلك » صاح بينوكيو « قولي لي بسرعة ، يا قوقعتي الصغيرة الجميلة أين تركت جنيتي الطيبة ؟ ما الذي تفعله الآن ؟ هل سامحتني ؟ ألا تزال تذكرني ؟»

أوقف سيل الأسئلة التي كان يوجهها للقوقعة ليغالب دموعه التي كادت أن تطفر من عينيه ، ثم تنهد وقال :

– « ألا تزال تود لي كل الأمور الطيبة ؟ هل هي بعيدة عن هنا ؟ هل يمكنني الذهاب لرؤيتها ؟»

أجابت القوقعة بأسلوبها الهادئ المعتاد :

– « عزيزي بينوكيو ، إن الجنية المسكينة ترقد الآن بالمستشفى »

– « في المستشفى ؟»

– « هذا صحيح تماماً فقد أنهكتها آلاف المصائب ، فسقطت مريضة ولا تملك ما تشتري به لنفسها رغيفاً من الخبز »

- « هل هذا صحيح ؟ آه ، ما أشد الألم الذى سببته لها ، آه الجنية المسكينة ، لو كان عندى مليون بنس لكنت أسرعت بتقديمها لها .. ولكن لا املك سوى أربعين بنسًا ، كنت ذاهبًا لأشترى معطفًا جديداً . خذيها أيتها القوقعة واذهبى بها فى الحال إلى جنيتى الطيبة »

- « وماذا عن معطفك الجديد ؟»

- « ما أهمية معطفى الجديد ؟ إنى لأبيع حتى هذه الخرق التى أرتديها لأستطيع مساعدتها . اذهبى إليها بسرعة أيتها القوقعة ، وعودى فى خلال يومين إلى هذا المكان ، لأنى آمل أن يكون بمقدورى أن أعطيك نقوداً أكثر ، فأنا الآن أعمل لأساعد أبى ، ومن اليوم فصاعداً سأعمل خمس ساعات إضافية لأساعد أمى الطيبة . إلى اللقاء ، سوف أنتظرك بعد يومين »

على عكس عادتها ، أسرعت القوقعة وجرت كالسحلية .

فى تلك الأمسية ، بدلا من أن يذهب بينوكيو للفراش فى العاشرة ، جلس حتى منتصف الليل . وبدلاً من أن يصنع ثمان سلال من الخوص ، صنع ست عشرة . ذهب بعدها إلى الفراش وتمدد نائمًا . وبينما هو نائم اعتقد أنه رأى الجنية مبتسمة وجميلة ، وأنها بعد أن قبلّته قالت له:

- « أحسنت صنعًا يا بينوكيو ، ولكى أكافئك على قلبك الطيب سوف أسامحك على كل ما فات . إن الأولاد الذين يهتمون بوالديهم ويساعدونهم فى المحن والمرض يستحقون المديح والحب ، حتى لو لم يكونوا على درجة كبيرة من الطاعة والسلوك الطيب . حاول أن تفعل ما هو أفضل فى المستقبل وسوف تكون سعيداً »

بعد أن انتهى الحلم استيقظ بينوكيو وفتح عينيه ولدهشته اكتشف أنه لم يعد تمثالاً خشبيًا ولكنه أصبح بدلاً من ذلك ولدًا كغيره من الأولاد .

أدار بصره حوله فرأى أن الحيطان المصنوعة من القش فى الكوخ قد اختفت ، وأنه فى غرفة جميلة صغيرة مفروشة ببساطة وروعة . قفز من الفراش فوجد ملابس جديدة جاهزة من أجله وقلنسوة جديدة وزوجًا من الأحذية الجلدية التى تناسبه تمامًا .

لم يكد يرتدى ملابسه حتى وضع يده فى جيبه بطريقة تلقائية ، ولدهشته وجد به محفظة صغيرة من العاج مكتوب عليها هذه الكلمات : « الجنية ذات الشعر الأزرق تعيد الأربعين بنسًا إلى عزيزها بينوكيو وتشكره لقلبه الطيب » . فتح المحفظة وبدلاً من الأربعين بنسًا وجد أربعين قطعة من الذهب البراق .

ذهب ونظر إلى نفسه فى المرآة ، فرأى شخصًا آخر . فهو لم يعد يرى انعكاس التمثال الخشبى ، بل رأى بدلاً من ذلك صورة ولد رائع كستنائى الشعر أزرق العينين ، وتبدو عليه السعادة والمرح كما لو كان فى ليلة عيد الميلاد .

وسط كل تلك العجائب المتتالية ، أحس بينوكيو بالاستغراب ولم يكن متأكداً مما يراه وما إذا كان نائمًا يحلم ، أم إنه يحلم وعيناه مفتوحتان .

- « أين يمكن أن يكون أبى ؟» تساءل فجأة وذهب إلى الغرفة المجاورة فوجد چيبتيو العجوز بحالة طيبة ومرحًا كما كان فى

السابق . كان قد عاد بالفعل إلى صنعته الأولى وهى نحت الخشب ، وكان ينحت إطارًا جميلاً من الزهور والأوراق ورؤوس الحيوانات .

- « أشبع فضولى يا أبى العزيز » قال بينوكيو ملقيًا ذراعيه حول عنقه وهو يغرقه بالقبلات « وقل لى إلى من ترجع كل هذه التغيرات ؟ »

- « هذا التغير المفاجئ فى بيتنا يرجع إلى عملك » أجاب چيبتيو .

- « كيف ذلك؟»

- « لأن الأولاد الذين يوصفون بسوء السلوك عندما يبدأون صفحة جديدة ويصبحون طيبين ، تكون عندهم القدرة على إشاعة الرضا والسعادة فى أسرهم »

- « وأين أخفى بينوكيو الخشبى القديم نفسه ؟ »

- « ها هو » أجاب چيبتيو مشيرًا إلى تمثال كبير يميل على كرسى ورأسه على جانب وذراعاه متدليتان وقدماه منحنيتان ويبدو وكأنه ميت .

استدار بينوكيو ونظر إليه لحظات وقال لنفسه :

- « كم كنت مثيرًا للسخرية عندما كنت تمثالاً ، الآن أنا سعيد أننى أصبحت صبيًا صغيرًا مهذبًا »

المؤلف فى سطور

كارلو لورينزيني

ولد كارلو لورينزيني - الذى استخدم الاسم كارلو كولودى فى كتاباته - فى ٢٤ نوفمبر عام ١٨٢٦ بفلورنسا - إيطاليا . وفى شبابه تطوع فى حملة عام ١٨٤٨ . أنشأ بعض الصحف الساخرة التى صدرت خفية من وراء القانون ؛ ومنها صحيفته إلامبيون التى مُنعت من الصدور فى الحال . فى عام ١٨٥٣ أصدر صحيفته لاسكاراموشيا ، والتى كان نصيبها من الحياة أطول من سابقتها . كتب أيضاً العديد من الكوميديات مختاراً اسماً مستعاراً هو اسم مسقط رأس والدته .

القليل مما كتبه كولودى يُقرأ ، فيما عدا مغامرات بينوكيو . فبعد أن قام بترجمة ناجحة لبعض القصص الخيالية الفرنسية ، قرر أن يكتب بنفسه فى هذا المجال ، ونشر عدداً من الأعمال عن الصبى الخشبى الصغير فى جريدة بومبينى ، وهى مجلة للأطفال .

ولنجاحها الكبير ؛ نُشرت فى كتاب عام ١٨٨٠ . وقد بيع منها أكثر من مليون نسخة وذاع صيت كولودى عبر الزمن .

مات كولودى عام ١٨٩٠ قبل عامين من ترجمة كتابه إلى الإنجليزية . ومنذ ذلك الحين، ظهر بينوكيو فى كثير من لغات العالم ، وأيضًا على المسرح وفى أفلام الكرتون .

المترجم فى سطور

محمد قدرى عمارة

- من مواليد محافظة الغربية سنة ١٩٤٧ .

- تخرج فى كلية الزراعة ، جامعة الإسكندرية سنة ١٩٦٧ ، ثم عمل معيداً بقسم الوراثة بالكلية ، ثم مدرساً مساعداً .

- عين مدرساً بقسم الوراثة بجامعة أسيوط بعد الحصول على الدكتوراه من جامعة ويلز بإنجلترا سنة ١٩٧٥ .. وهو الآن رئيس قسم الوراثة بالكلية نفسها .

من ترجماته :

أعمال للمترجم :

* السيدة صاحبة الكلب المدلل وقصص أخرى (تشيخوف) .
* انتصار السعادة (برتراند راسل) .
* فن كتابة السيناريو (تيرنس سان جون) .

المراجع فى سطور :

إلهامى عمارة

- عضو إتحاد كتاب مصر وعضو إتحاد الكتاب العرب .
- أستاذ سابق بجامعة إدمنتون بكندا .
- له العديد من الأعمال الروائية والمسرحية والدراما التلفزيونية .

الإشراف اللغوى: حسام عبد العزيز
الإشراف الفنـــى: حســـن كامـــــل



The adventures of pinocchio

By: Carlo Collodi

